الموسوعة الإسلامية للشباب

# الإعجاز العلمى فى القرآن

د. عايد طه ناصف



الموسوعة الإسلامية للشباب

# الإعجاز العلمى في القرآن

دكتور

عايد طه ناصف

الناشــرون

مؤسسة طيبة
للنشر والتوزيع
٧ ش علام حسين - الظاهر - القاهرة
ت: ٠٢/٧٨٦٧١٩٨ تلفاكس: ٠٢/٦٨٢٦٧٤٦

المركز الإعلامى للدراسات
والبحوث القومية والاستراتيجية

رئيس المركز: د. عايد طه ناصف
مدير التحرير: فوزية الوكيل
المدير الفني: مهندس خالد طه ناصف
المدير العلمى: مهندسة رانيا عايد ناصف

٤٥ ش أحمد عرابى - المهندسين
ت: ٠٢/٦٧٤١٨٨٥

| رقم الايداع ٣٤١٨ / ٢٠٠٥ |
| --- |
| الترقيم الدولي 977-5969 - 78 - 5 I.S.B.N |

الطبعة الأولى
٢٠٠٥



الإخراج وفصل الألوان
وحدة التجهيزات الفنية بالمؤسسة
الإخراج الفنى: إنعام خطاب
مراجعة لغوية: عبد الرحمن الجبالى

# الاهداء

إلي نَجْلتَيّ أُلودْيَا ورَانْيَا وأحفادي

سارة وإلينور ومحمود وأحمد وزياد

أهدى هذا الكتاب

داعيًا الله أنْ يكون عِلْمًا يُنتفَع به

ويُثْقل الميزان يوم الدين

# مقدمة

يقول الكاتب الفرنسى « موريس بوكاى » الذى أشهر إسلامه فى نفس الوقت الذى أسلم فيه المفكر الإسلامى « رجاء جارودى » وهو أيضاً فرنسى .

يقول : إنه تناول الأديان تحليلاً دقيقاً من وجهة عطائها العلمى وأقام موازنات دقيقة ومقارنات محايدة وذلك للوصول إلى ما تتناوله الأديان من حقائق علمية ، وأنه وجد أن الأديان جميعاً لم تصمد أمام معطيات العلم ، وأنها إصطدمت مع معاييره العلمية وسقطت .

ولكن الإسلام واجه كل المتغيرات وكل الحقائق العلمية وجعلها تقف أمامه ساجدة وراكعة ، وأنه حاول أن يجد ثغرة واحدة فى القرآن الكريم لينفذ منها ، ولكنه لم يستطع .

فالقرآن مثلاً تناول أصل الحياة بدقة ، فلقد تناول باقتضاب متناهٍ فى الآية ٣٠ من سورة الأنبياء تكوين العوالم إذ يقول :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

«سورة الأنبياء الآية ٣٠»

فالقرآن فى هذه الآية دون سواه أكد على أن كل شئ حى صنع من مادة جوهرية هى الماء الذى هو أصل الحياة ، وهذا يطابق المعارف العلمية ويتفوق عليها بمزيد من الاستنتاجات التى سوف تأتى بها العلوم المستقبلية خاصة حينما يحاول العلم الوصول إلى إجابة عن: هل هناك حياة فى الكواكب الأخرى ... ؟

وستكون الإجابة علمياً : نعم ، إذا كانت هناك كمية كافية من الماء ، ويشير القرآن أيضاً إلى " الأزواج " فى عالم الحياة فيقول

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾

«سورة طه أية ٥٣»

فالنبات أيضاً خلق أزواجاً .

والماء ينطبق أيضاً على السائل المنوى الذى منه تُخلق الحياة عادة .

فكل ما نطق به القرآن عن أصل الحياة نباتاً كان أو حيواناً يوافق الاستدلالات العلمية ويتفوق عليها ، وأنه كتاب معجز علمياً لأنه لم يتسرب إليه أسطورة من الأساطير التى كانت تتردد عن أصل الحياة .

ويؤكد القرآن تأكيداً مطلقاً على مبدأ الأزواج فى آيات كثيرة .

فمثلاً بقوله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾

«سورة الحج آيه ٥»

وهذه المعطيات العلمية لم يكن يعلمها الإنسان والتى نتبين منها اليوم أزواجاً من أبنيته أو وظائف فى أدق الفصائل أو أكبرها حجماً فى عالم الأحياء أو عالم غير الأحياء .

وأن العلم لم يأت بشىء يتعارض مع القرآن ، وإذا كان ، فالعلم هو الذى لم يصل إلى الحقائق المطلقة للقرآن .

وبعد ما يأت القرآن بأصل الحياة يتناول الأهمية فى الكائنات فى مواضع شتى فيقول (جل وعلا)

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ﴾

«سورة الأنعام الآية ٣٨»

وأبرز القرآن الكريم أهمية العلم والمعرفة ممثلاً فى أول ما نزل مخاطباً محمد ﴿ﷺ﴾ بقوله (تعالى)

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

«سورة العلق الآية من ١ - ٥»

وتُبرز هذه الآيات مصدر العلم ، وأنه من عند الله سبحانه ، فمنه يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم ، وكل ما يُفتح له من أسرار هذا الوجود وهذه الحياة ، ومن أسرار نفسه .

فالله هو الخالق وهو الذى علَّم فمنه البدء والنشأة ، ومنه التعليم والمعرفة . ولقد أفاد الإسلام العلم حينما أبرز الوسائل التى ترسخ العلم وتحقق المعرفة ومنها الآتى :-

## أولاً : إثارة العقل :

فلقد أوضح أهمية إثارة العقل والدعوة إلى النظر والتدبر فيما فى العالم من ظواهر . فقال تعالى :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

« سورة الطارق آية ٥ »

وقال تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

« سورة عبس من الآية من ٢٤ - ٣٢ »

وأيضاً ما جاء فى سورة الأعراف:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾

« سورة الأعراف آية ١٨٥ »

وقال عن التأمل فى ملكوت الله ونظامه:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

« سورة يس آية ٤٠ »

وكما قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

«سورة آل عمران الآيتان من ١٩٠ - ١٩١»

دعوة للتدبر وإثراء الحياة العقلية .

دعوات لإثارة العقل وشحذ الإدراك .

دعوات لطرق أبواب العلم والمعرفة التى أوجدها الله فى خلقه وكونه ، ولم تُخلق عبثاً ولكنها وجدت بقدرته ليكتشفها العلم الإنسانى للاستفادة منها فى رقى الكون وليكون العلم مسخراً لخليفة الله فى أرضه.

## ثانياً : بلوغ درجات الحكمة :

وهذا البلوغ وتلك الحكمة تأتى من إنعاش العقل والتدبر والتأمل والتفكير فى خلق الله سبحانه والاستدلال من ذلك على صفات الله .

وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾

«سورة لقمان من الآية ١٢»

وكذلك قوله (عز وجل )

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

«سورة البقرة آية ٢٦٩»

ولقد سمى الله ما أوحى به لسيد المرسلين محمد ﴿ﷺ﴾ حكمة كما فى قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾

«سورة الإسراء الآية ٣٩»

ومنظومة العلم تبدأ فى فهم الكون والكائنات والأمم بجميع أجناسها ، ثم استخدام العقل وإنعاشه للوصول إلى الحكمة التى توصل إلى العلم الذى ينفع الناس والقرآن فيه كل شئ فهو ليس كتاب وعظ وإرشاد ولكن يقول عنه رب العزة

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾

«من سورة الإسراء الآية ١٢» .

ولهذا نؤكد أن العلم فى الإسلام لا يقتصر على مجرد العلم بالقرآن والسنة وأحكام الشريعة المستمدة منهما .

ولكنه يتجاوز ذلك إلى العلم الكونى أو العلم المادى ، فالإسلام جاء شاملاً للبحث الكونى ، فلقد أمر الإنسان بتعمير الكون المسخر له ، وهذا يعنى آن الكون خاضع لإدراكه وبحثه ليستفيد من هذا الكون وليستغل خبراته لتأمين حياته ورفاهيته ، وفى هذا يقول سبحانه فى الآية رقم ١٣ من سورة الجاثية :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾

« سورة الجاثية الاية رقم ١٣ »

وكذلك قوله (تعالى) :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« سورة النحل الآية ١٢ »

فهذا التسخير يؤكد على روح المنهج العلمى الصحيح الذى يدفع الإنسان إلى محاولة استكشاف ما هو مجهول فى هذا الكون وظواهره على أساس قدرة الإنسان بالعلم على مواجهة الطبيعة .

وانه لا حدٌ فى الإسلام لما يمكن أن يستنبطه العقل البشرى من أنواع العلوم التى تتعلق بمصالح الناس المتغيرة من زمان إلى زمان ، ومن مكان إلى آخر ، ولذلك قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :

« أنتم أعلم بشئون دنياكم »

ولهذا يدعو الإسلام إلى منهج علمى يقوم على ثلاث :

( ١ ) **عدم إلغاء العقول :** تشبها بالسابقين الذين الغوا شخصياتهم وعقولهم وعبدوا الأحبار والرهبان فى قوله (تعالى) :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

« الآية ٣١ من سورة التوبة »

**( ٢ ) عدم تعطيل الحواس وتقليد الغير: فيقول (تعالى) :**

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾

**« سورة الأعراف الآية ١٧٩ »**

**( ٣ ) الوصول إلى البراهين والبعد عن الظن : فالإسلام يرفض التقليد الباطل الموروث ، فيقول (تعالى) :**

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾

**« سورة البقرة الآية ١١١ »**

وقوله (تعالى) أيضاً فى الآية ١٤٨ من سورة الأنعام :

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾

**« سورة الأنعام الآية ١٤٨ »**

ولهذا يدعو الرسول إلى العلم فيقول ﴿ﷺ﴾ :

**« لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل »**

ويقول أيضاً ﴿ﷺ﴾ :

**« إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء »**

ولمّا قامت الظاهرة الإسلامية العلمية على هذه المبادئ السامية ازدهرت الحضارة الإسلامية .

فلقد كان فلاسفة الإسلام وعلمائه الذين بنوا الحضارة الإنسانية متنبهين جميعاً إلى ضرورة إطلاق العقل ليبحث فى كل اتجاه ، ولم يضعوا له قيوداً تحد نشاطه ورسموا له منهجاً فى البحث يصل إلى الحقائق العلمية .

ودفعت حرية الفكر أيضاً المسلمين إلى الاستفادة من تجارب الأمم الآخرى كما حدث فى العصر العباسى حينما شجع الخلفاء الترجمة وجعلوها سياسة مرسومة للدولة ، فنقلوا إلى المسلمين خلاصة وتجارب الحضارة اليونانية .

وكان المسلمين متنبهين آن ذاك إلى قيمة حرية الفكر التى من شأنها تزاوج الفكر والعلم ونمو الحضارة ، وهكذا ازدهرت الحضارة الإسلامية فى القرون الأولى واصبحت حضارتهم مدرسة للغرب وفجراً لحضارته ، إلا أن الشعوب الإسلامية المعاصرة التى تركت وتناست حرية الفكر ومالت إلى التقليد وعدم الاهتمام بالعلوم الكونية فاضمحلت حضارتهم وتفوقت عليها حضارة الأوربيين بما أضافوه من استكشاف لأسرار الكون ، وبما استحدثوه من مكتشفات علمية غيَّرت مجرى التاريخ ، وأصبح العالم الإسلامى هدفا من أهداف تصدير الأفكار، والهدفُ من وراء التصدير هو أن يبقى هذا العالم مفتقراً إلى أية أفكار ترده إلى أصالته وحضارته الإسلامية.

والمسئولية كلها تقع على عاتق مفكرينا ومثقفينا الذين وقع الكثير منهم فى شَرَكِ المعادين للإسلام والخائفين من تزايد قوته الفكرية والوجدانية أن تعود.

وهؤلاء المعادون وحَّدوا هممهم وشحذوا أقلامهم لإنتاج أفكار متنوعة متلاحقة ويطلقُ عليها أفكارُ الحضارة والرقىّ، ثم إنهم يزينونها بما يجعلها فى عيون الغير كسلعة ينبغى ملاحقتها حتى وإن تغيرت يوماً بعد يوم كما تتغير طرز الأشياء.

وهكذا وقع مفكرونا ووقفوا مبهورين أمام موجات الفكر الواردة.

ماذ يأخذون ...؟

وماذا يدعون ...؟

ماذا يقرءون ...؟

وماذا يترجمون...؟

حتى وإن استطاعوا ملاحقة هذه الأفكار .. فإنه يصعب عليهم مواجهتها أو نقدها ، فإن استطاعوا صياغة نقد معين لأحد الاتجاهات الفكرية الجديدة نسبيًا يكون الوقت قد فات ، وتقادم ما ينقدون وغطّت عليه أفكار أخرى أشدُّ جاذبيةً وأكثر لمعاناً.

وكثير من مفكرينا تاهوا فى سوق الأفكار، تلك السوق التى أصبحت فى هذا العصر أخطرَ أسواقٍ للمنتجات وأكثرَها ميلا للإسفاف والتزييف والإفساد.

ومن ثَمَّ فلقد حفَلَت أسواقنا الثقافية والإعلامية بما هو أشد فتكاً من السموم، وأعظم انتشاراً من الهواء الذى يتخلل كل خلية ، وينخر فى عظام ما تبقى من الحضارة الاسلامية.

أفكار ترتدى أثواباً قشيبة، وتحمل شعارات براقة، وترفع مشاعلَ الحضارة المُبْهِرَة.

وما هذه الشعارات وما تلك الأثواب والمشاعل إلا قناعا يستر الزيف والخطر.

وبعض المفكرين خفَتَتْ أصواتهم لأنهم أصبحوا يرون أن العزوف والانزوَاء فى أركان الصمت والصبر هو الملاذ، إما زهداً فى الدنيا أو يأساً من الإصلاح .

ولأن سلعة الفكر المستورَدَة هى الرائجة وما عداها يبور.

ولأن أغلب قيادات الأمم الإسلامية وضعت علماءها ومفكريها فى المرتبة الأدنى من العناية والرعاية أو منحت ومنعت العلماء والمفكرين منافذ الإعلام والثقافة ، فإما أن يكون الفكر موظفًا لخدمة القيادات وللإشادة بها أو لا يكون.

هذه هى بعض الأسباب وهناك الكثير الذى يعدُ سَرْدُه فتحا لمجالات الخلاف والمبارزة التى نحن فى غنى عنها اليوم.

ولهذا أصبحت معظم الكتابات الإسلامية، وعالم الفكر الإسلامى المعاصر مجرد أقاصيص تحكى للبشر، أو مقالات يتبارى أصحابها فى تدبيج المقدمات لتنتهى بعد قراءتها إلى هز الرءوس ، ولوك عبارات الثناء والإعجاب.

وسادت الكتابات التى لا تزيد على بضع حكايات عن الأولياء، واجترار بضعة خيالات محلقة فى سماء التيه، واجترار التمنيات التى تميّع من وعى الجماهير، وتدفعها إلى التحليق فى أحلام الماضى وتصوراته، ولا تأخذ بيدها من خلال مبادرات جادة ،مخلصة تعيش عصرها وأفكارها وتطلعاتها.

وهكذا بدت الحضارة الإسلامية وكأنها روح منهزمة أمام انتصارات العلم فى غير بلاد الإسلام ، وروح تقف مبهورة أمام إنجازات الإنسان الأوروبى والأمريكى.

لقد آن الأوان ولم يعد هناك وقت للانتظار فى زمن أصبح فيه فوق كل بناء شامخ أو قصير «طبق» لالتقاط إفسادات الزمن من الأقمار الصناعية لِتَبُثَّ مفاسدها فى حجرات النوم على مرأى ومسمع من براعم الأجيال.

ولتذوب أرواحهم وتتلوث عقائدهم ولتتخرب بقية القيم المنحسرة.

لقد آن الأوان (**وقبل فوات الأوان**) أن نصحو من الغفوة، وأن ننهض من الكبوة. فسوف يُحاسَب أولو الأمر وقيادات الأمة أمام الله: « **كلكم راع وكلكم**

مسئول عن رعيته ». وسوف يُحاسب العلماءُ والمفكرون على نعمة العقل والحكمة: « إنَّما يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَماءُ ».

- فإنها الأمة الوسط التى وُصِفَت بأنها خيرُ أُمة أُخرجت للناس .
- والخير فى حاكم يرعى حرمة الله فى عقل ووجدان أمته.
- والخير فى عالِم لا يخشى فى الله لومة لائم، لهذا أقدم هذ الكتاب مدخلا إلى عقول علمائنا فى كل تخصص راجياً أن يضيف كلٌ فى مجال تخصصه لبنةً لنصنع صرحا إسلاميا شامخا يُحاكى شموخ الأجداد وعظمتهم، ويبعث الضمير الإسلامى من سباته.

وأقدم هذا الكتاب إلى شباب هذا الجيل علماءِ المستقبل الذين يقفون على أعتاب عصر جديد تذوب فيه القيم وتنحسر الأخلاق مناشدا إياهم التمسك بالقرآن والاقتداء بالرسول العظيم ، والتحلى بفضائل الإيمان وتجميل العقل بالتفكير والتدبر فى كون الله.

وسوف يبهرون الدنيا. ويعودون ركب الحضارة بإذن الله.

# الباب الأول

الفصل الأول:

• رسالة الإنسان ورسالة العلماء

الفصل الثاني:

• مجال البحث العلمي في الإسلام

الفصل الثالث:

• الإسلام وفروع المعرفة

الفصل الرابع:

• النظرة القرآنية إلى الكون

الفصل الخامس:

• شاشة الكون الإلهية

الفصل السادس:

• العلم ومستقبل الأرزاق

# الفصل الأول

## رسالة الإنسان ورسالة العلماء

**مقدمة:**

الرسالة الإسلامية هى الرسالة الشاملة إلى عالم الأرض.. فهى تضم كل ما يهم البشر ويصلح حياتهم، خاصة ما يتناول:

العقائد، والأخلاق ، والمعاملات ، والكون.

ومجال اهتماماتنا هنا عن الكَون الذى سخره الله طيعاً للإنسان، فسخر له الجبال والمياه والزروع والحيوان والنبات والرياح والهواء وكافة المخلوقات الأخرى، وجعلها طوع أمره ورهن فكره وتدبره.

ووضع للإنسان أوامره بافْعل ونواهيه بلا تَفْعل، وحذَّره من سوء استخدامه لكل ما سُخِّر له إفساداً أو إتلافاً، وأمر بالإفادة منها واستعمالها فى كل مظاهر الخير والمنفعة على الوجه الذى يحفظ فيه على هذه الموجودات صورتها المعبرة عن جلال قدرة الله، ووجوده سبحانه جلَّ وعلا.

وعند التنقيب فى إعجاز القرآن تبرز البراهين المؤكدة على أنه دينُ لا يُساير النهضات الحديثة فى كل العصور فقط، بل إنه يُنَقِّى هذه النهضات ويرَشِّدُ مساراتها وتقدمها، ويَهْدى أيَّة حضارة إلى أصولِ الفضيلة المثلى وأركان التعمير الرشيد ، وتبرز الدلالات المشيرة إلي أن الإسلام لا يقف أو يتخلف عن مطالب البشر، بل إن مناجمه فى كل المعارف تمد كل الأجيال بما يُحيي العقول والقلوب والخواطر.

والإسلام برىءُ مما يواجه الإنسان من مشكلات ، وسواء أكان سبَبَها الكسل أو الخمول أو أيَّة مبررات مبتدعة كالتواكل والتسليم للقضاء وغيرها من المفاهيم الخاطئة.

فالقرآن يدعو بصوت مسموع وإعجاز بلاغى إلى السعى والكد والكفاح والجهاد والهجرة التى تمثل رسالة الإنسان فى الكون ، ويدعو إلى استخدام العقل وقدرات الإنسان الحسية والجسمية من أجل التعمير والرفاهية ومواجهة التحديات.

والإسلام برىء مما يُنْسبُ إليه من أسباب تخلف أصحاب الدعوة إلى الكسل والبطالة وادعاء التوكل لأنهم أنفسهم وبمنهجهم الفكرى يسيئون إلى المبادئ الإسلامية الصحيحة، ولأنهم وهم ينتمون إلى الإسلام يشوهون صورته ، ويدفعون المغرضين والحاقدين إلى توجيه الاتهام إلى الإسلام بأنه دين العجز والركود والتخلف عن مواكبة ركب تقدم الإنسانية على مر العصور والأزمنة.

والله الذى قدَّر للإنسان تعمير هذا الكون أوجد له كل الوسائل والإمكانيات التى بها يستطيع مزاولة مهمة تسخير هذا الكون بما فيه.

وإذا كان الله القادر القيوم على هذه الخليقة قد تولى مهمة رعاية وترشيد وهداية الإنسان بإرسال الأنبياء والرسل إلا أنه أوجد للإنسان عقلا قَبلَ تحمُّل الأمانة وتولى مسئولية خلافة الله فى الأرض وإعمار هذا الكون ، واوجد فى كينونته فطرةً تمده بالشفافية وتضىء له مشاعل الهداية.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾

«سورة الروم من الآية ٣٠»

فالإسلام دين الفطرة ودين العقل .. ولهذا فلقد كلفنا الله باستخدام فطرتنا ممثلة فى الحواس السامية والملكات النقية والكوامن الشفافة التى وهبها الله لنا وأيضاً العقل الذى تميز به الإنسان عن سائر المخلوقات، وخص الإنسان بخصوصية التأمل والتدبر والتفكير واستثمار الحواس التى وهبها له فيقول (جل وعلا):

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

«سورة الحج من الآية ٤٦»

إذن ففطرة الإنسان وسرائره وبصائره أدوات للمعرفة والعلم فضلا عن القلب الذى هو مركز الفطرة ومعقل البصيرة.

والعلم لا يتحقق بالمشاهدة من خلال الحواس الظاهرة كالسمع والبصر، فهناك وسائل أقدر على العلم منها «القلوب».

وهكذا نرى عالماً ضريراً، وجاهلاً مُبصراً ، وأصماً عاقلاً، وصحيحاً جاهلاً، فالعبرة بأدوات الفطرة الكامنة فى وعاء النفس ، والعبرة بعمى القلب أو إبصاره وعمى البصيرة أو نفاذها .

والعبرة فى التفكُر والتدبر والتعقل فى قدرة الله بكافة أجهزة التدبر التى خلقها الله لنا.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

«سورة العنكبوت الآية ٢٠»

والعبرة أيضاً فى التفكير فى الأنفس:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ ﴾

«سورة الروم الآية ٨»

وأيضاً يجب استخدام أدوات الفطرة وسموّ العقل فى تدبر كلام الله وقرآنه:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

«سورة النساء من الآية ٨٢»

وأدوات التدبر تتمثل فى الملاحظة والتفكيرُ، والنظر، والتأمل فهى المدخلات إلى كينونة العقل والحواس وهى التى تغذيها بالزاد الحياتى ومنها يتم تخزين المشاهد والمعطَيات فتتحقق بلورات التَّعلُّم، وتتكاثر خلايا المعرفة.

وتكثر الآيات القرآنية التى تطلب إلى الناس استخدام الأبصار والأسماع فى تدبر آيات الله فى الكون مثل:

تعاقب الليل والنهار، حركات النجوم والكواكب، ظاهرة السحاب والأمطار، أبعاد الفضاء السحيقة، الزرع واختلاف الألوان والمذاق، الماء الذى منه كل شىء حى، اختلاف ألوان الناس واختلاف ألسنتهم، الأنعام كالإبل وغيرها والطيور، والحشرات، قصص الأنبياء، الشرائع الإلهية، المعاملات، النفس الإنسانية وما يعتريها من حب وكره ويأس ورجاء وإيمان ونفاق، الحياة ثم الموت ثم النشور.

وما هذا وغيره إلا دعوة إلهية للتعلم والمعرفة والإفادة من إمكانيات العقل واستثمار شفافية الفطرة.

وغاية الإسلام هى الاهتمام الذى يصقل الإنسان ويجعله أهلا للاستخلاف فى الأرض فى ظل قانون إلهى فيه من الأوامر ما يجب أن يُطاع ومن النواهى ما يجب تجنبه.

والعلم له أهله، فليس كل الخلق عُلماء، وتختلف درجات العلم بقدر ما مُنح الإنسان من رجاحة فكر، وما أتيح له من زاد معرفى يغذى به عقله.

ولكنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم وقد قال ﴿ﷺ﴾ :

**«طلب العلمِ فريضةُ على كلُ مسلمٍ ومُسْلِمة».**

إذن فكل مسلم عليه فريضة التعلم، وكل شيء في هذه الدنيا درجات ومن وصل الدرجات العليا من العلم فهو من العلماء ولهذا رفع الإسلام من شأن العلماء لأنهم بما أوتوا من بصيرة، وبما درسوا للوصول إلى حقائق الأشياء، فقد تيسر لهم أكثر من غيرهم من العلم الذى يمكنهم من إدراك بعض الجوانب من عظمة الخالق وقدرته، فامتلأت قلوبهم إجلالا له (سبحانه) وخشية منه فى علاه وذلك لما عرفوا من الحق ومن علوم الحق ولهذا قال عنهم رب العزة:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾

**«سورة فاطر من الآية ٢٨»**

❖ ❖ وهنا تتضح رسالة الإنسان فى الأرض :

- **العادىُّ .**

- **والعالمِ .**

فرسالة الانسان العادىُّ تتمثل فى أن يقيم الصلاة ويُؤتى الزكاة، ويصوم رمضان ، ويحج البيت الحرام إن استطاع وفق الأحكام الشرعية المقرَّرَة لهذه العبادات ، وأيضاً عليه فريضة طلب العلم الذى يُحقق له القدرة على أن يسعى لكسب عيشه ولا يكون عالة على أحد غير نفسه ما دام غير عاجز عن الكسب، ويوضح له أن العمل الذى يتكسب منه ينبغى أن يكون حلالا طيباً ، فلا يشتغل بعمل حرام، أو أن تكون بعض عناصره حراماً.

ومن هنا وجب على المؤمن أن يتزود دائما بالتعليم المتجدد ليصل إلى معرفة تامة بدقائق عمله ليؤديه على الوجه الأكمل لينال رضاء الله ورضاء الصالحين من الناس، وكفاه راحة ضميره وحبُّ الخلق له والبركة التى يضعها الله (تعالى) فى رزقه.

وعلى المؤمن أيضاً أن يصقل إرادته ويحصن سلوكياته، بجرعات تمكنه من مواجهة السلبيات فلا يشارك فى الإهمال الفاحش أو الغش الدنىء أو الفساد والاً يتأثر بآفات الكثيرين الذين يضايقهم أن يوجد بينهم من يُتْقِنْ عمله ويُخلص لله فيه، وأن يواجه من يحاولون إثباط الهمم أو السخرية من وجود الآداء أو الكيد له ليتخلصوا منه.

## رسالة العلماء:

أما العلماء فهم أولئك الذين استحقوا أن يكونوا كما قال ﴿ﷺ﴾: **«العلماءُ ورثة الأنبياء»**.

ومن قال فيهم ربهم :

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾

**«سورة آل عمران من الآية ١٨»**

ومن قال فيهم سبحانه :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

**«سورة فاطر من الآية ٢٨»**

فليس المراد بالعلماء من عرفوا علم الدنيا وبرعوا فيه واتخذوه سلاحًا لتدمير الكون والفتك بالشعوب، فالعلماء من كرمهم الله فذكر شهادتهم مع شهادته (سبحانه) وشهادةِ الملائكة البررة، وهم كذلك الذين رفع الله منزلتهم إذ جعلهم وحدهم الذين يخشونه، فهم الطائفة الشريفة التى ناط بها رب العزة آهم مايكلف به البشر، وأعطاهم مهمةً ينبع منها صلاح الدنيا والآخرة ويستقيم آمر الخلق جميعًا، هم الكواكب التى تضيءُ سماء البشر

بالمعرفة، وهم الدواءُ الذى يشفى علل الجهل وعَتَمَةَ التيه الفكرى، فهم صلاح للكون، وهم أعمدة إقامة الدين وهم حراس للقيم.

إن على العلماء زكاة العلم بأن ينشروا نوره وأن يَظْهَر علمُهم فى أفعالهم لا فى أقوالهم وأن يكونوا قدوة صالحة فى التحلى بعاطر الأعمال، فليس من العلماء من ينتظرون جزاءً دنيوياً على معاناتهم فى تحصيل العلم وكسب المعرفة لأن ذلك يُدْنِى من قدرهم، ويحمل طائفة منهم على التطلع للمال والمنصب وبذلك هان قدر الكثيرين منهم، وفرحوا بالحياة الدنيا، وتطلع العامة للأسوة فوجدوها صارت بطانَة للأمراء والحكماء والسلاطين وذلك لتحقيق الآمال وجمع المال وكانت الصورة أنهم لم يصونوا العلم فلم يصُنْهم العلم.

إن العلماء الحقيقين هم ملح الدنيا فاذا فسد الملح فلا صلاح له، وهم قلوب الأمم فإذا فسدت القلوب.. فسد الجسد كله.

إن العلماء قدوة فى الدين وقدوة فى الدنيا وهم الصفوة الذين يقع عليهم مواجهة أولى الأمر فإن سكتوا سكت الناس، وإن مالئوا مالأ الناس.

ولو أن لهم وجودٌ ملحوظ ما استَشْرَت المفاسد فى الدنيا، ولو كان لهم أثر مرموق لأَستغنى الناس بقيادتهم عن قوانينَ تعدُّ بالألوف، تلك القوانين التى لا توقف تيار الانحراف.

**ولقد قيل** : اثنان إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس « العلماءُ، والأمراءُ » ، ويقال إن صلاح الأمراء من صلاح العلماء بما يكون لهم من مهابة وجلال والتفاف الناس من حولهم وبذلك يكون للعلماء فى كل عصر قدرةٌ على تقويم كل ما يعوج من كل ذى سلطان.

ولقد روى الحسن البصرى عن النبى - ﴿ﷺ﴾ - أنه قال :

**« لاَ تَزَال هَذِهِ الأُمَّة بِخَيْر تَحْت يَد الله وفى كنَفِه ما لمَ يُمَالئْ قُرَّاؤُها أُمَرَاءَهَا »**

ويعنى هذا ما لم يُمالئ عُلَمَاؤهَا أُمراءَها.

إنه ليس من العلماء من يتفاصح ويتشدق بالفتوى والمقال والتفسير ليدل على نفسه ويحدد مكانه أملا فى الدنيا ، ولكن إنه من العلماء من جاء يُؤْثِر دين الله وَهَدْى نبيه على صالح نفسه وأن يهيمن على قلوب الناس بالإخلاص والتضحية وأن يطلب من الدنيا مالا يشغله عن الآخرة وأنَ يسْهر لنصرة الحق، وهدم بناء الباطل ، أو أن يردَّ الإلحاد والغزو الفكرى ، وآن يصلح بين الأفراد والجماعات ليشِيعَ السلامُ بين المسلمين.

# الفصل الثانى

## مجال البحث العلمى فى الإسلام

من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام أن تكون النظرة إلى العلم قاصرة على مجرد العلم بالقرآن والسنة وأحكام الشريعة المستمدة منهما.

فالإسلام هو دين العلوم والمعارف جميعاً، والفكرِ والثقافةِ فى كل العصور ولكل الأجيال ، فلا يتوقف عند حدُ زمن معين أو جيل بعينه.

والإسلام دين العلم والعمل، ودين الدنيا والآخرة ، ولا يقبل أن يكون المسلم منطوياً فى خشوعه ، متضرعاً فى ضعفه، مستكيناً فى تقواه.

وقوة المؤمن ليست فى عبادته وخشوعه وخضوعه ، ولكنها قوة بالعلم واليقين وسموُ الإرادة ونقاء الفكر، وقوة بالمعرفة بمتطلبات الاستخلاف فى الأرض والأمانةِ التى حملها الإنسان.

قوة تمكّنه من المواجهة بلا انعزال عن العصر الذى يعيشه وما يجرى فيه.

قوة تمكنه من مواجهة المذاهب والأفكار الإلحادية التى تتحدّى الإسلام وتحاربه.

قوة تُعلى شأن الإسلام ، وتؤكد سيادته على ماعداه.

قوة تجعل العمل عبادة ، والعملُ هنا يعنى العملَ بالعلم.

فماذا يعنى العلم...؟

العلم فى الإسلام لا يعنى التفقه فى أحكام الدين وآدابه فقط ولكنه يعنى العلم بالكونيات والماديات ، فالإسلام عندما نزلت أولى آياته على

نبينا محمد ﷺ كانت تدعو للعلم لقوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾

« سورة العلق اية ١ »

فالقراءة هى مفتاح العلم والمعرفة ، وهى نافذة الفكر والإدراك .

وهكذا جاء القرآن معبراً عن حقيقة أبدية أزلية تعنى أن هذا الكتاب المُعْجِزَ لم يفرط فى علم أو شىء خطر على بال الخلق أو لم يخطر:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾

« سورة النحل من الآية ٨٩ »

إذن القرآن جاء شاملاً لكافة ضروب النشاط الإنسانى، ومنها البحث الكونى فى مجمل ما وسعه هذا الكون الذى أُمر الإنسان بتعميره، ذلك الكونُ الذى سُخِّر بما فيه لخدمة الإنسان ، وعلى هذا فإنه من الضرورى أن يبحث ويفكر ويستخدم عقله، فهذا الكون خاضع لإدراك الإنسان وبحثه، وظواهرُه ليست بالشىء المُبْهم الغامض الذى لا يُفَسَّر، فبمقدور العقل أن يستفيد دائماً من الكون وأن يستغل خبراته على أوسع نطاق لتأمين حياته ورفاهيته، وفى هذا يقول العليم الحكيم:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾

« سورة الجاثية من الآية ١٣ »

ويقول عز وعلا:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« سورة النحل: الآية ١٢ »

## حـدود العلـم الإسـلامى :

وإذا كان الإسلام يؤكد على روح المنهج العلمى الصحيح الذى يدفع الإنسان إلى محاولة استكشاف ما هو مجهول فى هذا الكون وظواهره على أساس من الثقة بقدرة الإنسان، وبالعلم فى مواجهة الطبيعة ، فإنه كذلك يؤكد على أن العلم فى الإسلام غير محدود بحد معين، والدليل على ذلك أن الرسول الأعظم محمداً ﷺ قال :

« **أنتم أعلم بشئون دنياكم** » .

وهذه المخاطبة النبوية موجهة إلى كل الأجيال ، ويعنى ذلك أن الباب واسع دائماً ومفتوح أبداً أمام عقل كل الأجيال لتستنبط من أنواع العلوم مالاً حصرَ له وما تشاء ، وبِما يتناسب وظروف حياتها.

ويدخل فى هذا الشأن القاعدة الشرعية الخالدة حول المشاورة بين المسلمين، فالمشاورة تُدْخِل فئاتِ المجتمع الإسلامى فى دائرة التفاعل والمصلحة العليا للمسلمين ويعنى هذا أن المشاورة ليست مبدأ للديمقراطية فحسب ولكنها مبدأ لمشاورة أهل الرأى والفكر والعلم والصفوة «كل فى مجاله» ليعطى المجتمعَ المسلم ثمرةَ فكره وعطائه فى مجال تخصصه لتتمازَج روافد المشاورة وتكتمل شجرة الارتقاء بالمجتمع الإسلامى فلا يسبقه أحد من العالمين.

ولذلك حينما يقول الرسول الأعظم ﷺ :

« **وما تشاور قومٌ قطُّ إلا هُدوا لأرشدِ أمْرهم** » .

فهو يُرسى ﷺ قاعدة علمية خالدة تؤكد على أهمية وفضل محصلة الفكر والبحث والدراسة وتجميع خلاصة العقل البشرىً لخدمة الإنسانية.

## العلم عبادة :

والإسلام لا يضع حدا لما يُمكن أن يستنبطه العقل البشرى من أنواع العلوم التى تتعلق بمصالح الناس المتغيرة من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

والفقهاء يرون أن الصناعات مثلا «فروض كفاية»، والصناعات تقوم على أساس العلم المادى ، فعلومٌ مثلُ الطبيعة والكيمياء والطب والهندسة والزراعة وغيرها لازمة للمجتمع ، ودراستها عبادةٌ لله ، ومن هنا فإن على ولى الأمر أن يفتح الباب للعلم والعلماء والفكر العلمى بكل روافده وفروعه، ومن لا يفعلُ ذلك يكون آثماً لأنه يوقع المسلمين فى دائرة التخلف والضعف.

## مجال البحث العلمى فى الإسلام :

والقرآن الكريم ليس كتاباً فى المنطق أو مناهج البحث فى العلوم ولكنه يحتوى على الأصول العامة للدلائل العقلية ، ولم يفرط فى أصل من هذه الأصول التى تلزم مسيرة الحياة ومسيرة إعمار الكون حتى قيام الساعة.

إلا أنه لم يتناول تفاصيل هذه الأصول وترك للعقل البشرى أن يمضى فى البحث والتنقيب عن هذه التفاصيل وكَشْفِ قوانينها وطرق الاستفادة منها.

والبحث العلمى فى الإسلام ينحصر فى مجالين هما:

العالَمُ الأكبر والعالَم الأصغر، وينبه القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله (تعالى):

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

«سورة فصلت : الآية ٥٣»

فالبحث فى الآفاق وفى الأنفس يؤدى إلى اكتشاف قوانين الخلق التى تمثل أمور العالم الأصغر الذى سوف يؤدى إلى معرفة امور العالم الأكبر وهو معرفة الخالق جل وعلا ...

## منهج البحث العلمى فى القرآن :

يدعو الإسلام إلى مبادئ علمية هامة تؤدى إلى ارتقاء المجتمع الإسلامى وازدهار أموره الحياتية ، وهذه المبادئ كالآتى :

### ١ـ مبدأ عدم التقليد:

وذلك من أجل تحرير الفكر من القيود والمفاهيم الباطلة ، ومن أجل تنشيط العقول وعدم تعطيل الحواس ، ولهذا وصف من ركنوا إلى التقليد الأعمى بأنهم كالأنعام ، بل هم اضل سبيلا فيقول العزيز العليم:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

« سورة الأعراف من الآية ١٧٩ »

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

« سورة الأنفال الآية ٢٢ »

ولهذا يجعل القرآن العلم وحده - لا التقليدَ - السبيلَ الموصل إلى ما يعتقده الإنسان ، كما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة الإسراء الآية ٣٦»

وكذلك يرفض الإسلام التقليد ويدفع إلى علم قائم على البراهين ويبعد عن الظن فيقول تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

«سورة الأنعام من الآية ١٤٨»

## مضار ومخاطر التقليد :

إن الاعتماد على التقليد خطر على ازدهار الأمم وارتقائها، ولنا فى ذلك مثال حى تجاه الأمة الإسلامية ، فعندما ركنت فى عصورها المتأخرة إلى التقليد ، وأهمل المسلمون دراسة العلوم الكونية، اضْمَحَلَّت أحوالهم السياسية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام، وتفوق عليهم الأوروبيون بما اكتشفوه من أسرار الطبيعة وبما استحدثوه من مكتشفات علمية غيرت من مجرى التاريخ، فكان التخلف والردة العلمية التى أصابت أقطار الأمة الإسلامية فى مجتمعاتها ، فجاء الاستعمار يرتع على خريطة العالم الإسلامى بأسره، وجاءت معه أرتال الاستغلال للشعوب ومقدراتها بأبشع صورة وبأسوأ الوسائل.

وما جاء ذلك إلا لأن المسلمين انغلقوا زمناً طويلا عما كان يجرى فى أوربا منذ عصر النهضة من تقدم علمى وفكرى، وجاء ذلك عندما اكتفى المسلمون بالتقليد وانتظار ما تجود به الأمم المتقدمة من فُتاتٍ علمى أو معطَيات علمية متخلفة، لتزود بها العقلية الراكدة الحالمة بأمجاد الماضى وذكريات الأجداد.

إن الحضارة تزدهر مع وجود النظر الحر، والفكر الحر، وتتقهقر مع وجود الجمود والتقليد.

## ٢ـ مبدأ تحرير الفكر من قيوده :

(أ) وهذا يعنى الارتكاز على العقل ودوره، فإطلاق العقل كى يبحث فى كل اتجاه وعدم وضع قيود على نشاطه مع رسم منهج للبحث يصل إلى الحقائق العلمية ولقد حقق هذا المبدأ تقدم المسلمين فى القرون الأولى للإسلام.

وهذا هو منهج ابن الهيثم الذى سبق به منهجَ روجر بيكون التجريبى، والذى صرح به روجر نفسه حينما قال: « إنه استعار المنهج التجريبى من العرب»، وكان روجر بيكون من مفكرى القرن الثالثَ عشرَ الميلادى وكان مترجما فى بلاط فردريك الثانى للعلم العربى والفلسفة العربية.

(ب) ويعنى تحرير الفكر من قيوده الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، وبقراءة تاريخ الإسلام نجد أن الحضارة الإسلامية كانت تقوَى وتزدهر حين كان المسلمون مؤمنين بالاستفادة فى مجال العلوم من تجارب الأمم الأخرى ، كما حدث مثلا فى العصر العباسى حينما شجع الخلفاء الترجمة وجعلوها سياسة مرسومة للدولة فنقلوا إلى المسلمين خلاصة تجارب الحضارة اليونانية، ولهذا ندرك هنا لماذا نادى مفكرو عصر النهضة فى أوروبا ومن تلاهم من الفلاسفة

المحدثين بضرورة التحرُّر من السلطة العلمية لأرسطو..؟ فالمعروف أن أرسطو كان قد اكتسب قداسة دينية حين ربط القديس توماس الأكويني في القرن الثالث عشر الميلادي بين مذهب أرسطو العلمي واللاهوت المسيحي بما جعل الخروج عن تعاليم ومذهب أرسطو العملي خروجا على اللاهوت، ويحاكمُ الخارجُ عنه أمام محاكم التفتيش، ولما خرج الفلاسفة المحدثون من هذه القيود بزغ فجر النهضة في أوروبا.

### ٣ ـ مبدأ استخدام الاستدلال العقلي :

#### (أ) المقدمات والنتيجة :

ينبه الإسلام العقول إلى أهمية استخدام أنواع الاستدلال العقلي المختلفة سواء أكان مباشرا أو غير مباشر.

فالإسلام يدعو إلى استنباط نتيجة من مقدمة أو مقدمات تثبُتُ صحتها كما هو في سورة يس

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾

«الآيات ٧٧-٨١»

هذه الآيات نراها كمقدمة أو مقدمات مؤكدة في صحتها وهى مشاهد كونية واضحة أمام العيون والعقول، أليس من الممكن أن نستخدم هذه المشاهدات الحسية لاستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة لنصل إلى معرفة القوانين العامة التى تسير بمقتضاها هذه الطبيعة ..؟

**(ب) استخدام القياس :**

يأتى قوله (تعالى) :

﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾

**«سورة الحشر من الآية ٢»**

توجيه دائم متجدد على ضرورة استخدام القياس كأسلوب علمى سواء أكان قياساً عقلياً أو قياساً فقهيا فى إطار من معنى الاعتبار الذى هو النظر فى الحكم الثابت لأى معنى ثابت وإلحاق نظيره به وهذا عين القياس.

## ٤ـ مبدأ الاستقراء والنظرة العلمية الفاحصة:

إن النظرة العلمية الفاحصة للأشياء فى الكون تؤدى إلى الإجابة عن الكيف ففى الآيات الكريمة الآتية تدقيق واستقراء ومشاهدة:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ ﴾

**«سورة الغاشية الآيات ١٧-٢٠»**

هذه المشاهدات والتأمل تعبر عن روح المنهج العلمى لأن العلم يؤدى إلى الإجابة عن السؤال : كيف ..؟ وليس الإجابة عن لماذا ..؟

اى كيف تتركب الظاهرة ...؟

ولا يعنى لماذا أو ما الغاية منها ...؟

والإسلام هنا عندما يدعونا إلى البحث فى كيفية خلق الحيوان والكواكب والجبال والأرض إنما يدعو إلى طريقة البحث دون أن يكون القرآن نفسه كتاباً يتناول موضوعات العلوم الجزئية التى تبحث فى هذه الموضوعات كعلوم الحياة والفلك والجيولوجيا والجغرافيا.

وايضا تأتينا الآيات التالية بدلالات علمية أخرى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

«سورة البقرة الآية ١٦٤»

فالدلالات من هذه الآيات تؤكد أولا على ضرورة استخدام العقول استخداما سوياً ، فالعقل لابد أن ينشغل بالظواهر الكونية والظواهر الإنسانية على اختلافها، والبحث فى الأسباب والمسببات فمعرفةُ أو محاولةُ معرفةِ كيف خلقت السموات والأرض ...؟ وكيف يتعاقب الليل والنهار...؟

وكيف تسير السنين ..؟ وكيف ينزل المطر ..؟ وكيف تحيا الدواب و...؟

كل ذلك يؤكد أن النظام الكونى خاضع لسنن الله التى لها قوانين لا تتبدل ، ونصل إلى هذه القوانين بالاستقراء العلمى القائم على المشاهدة الحسية ، وكما أن للظواهر الكونية قوانين إلهية لا تتبدل ولا تتغير ، فإننا

نجد أن علم الاجتماع البشرى الخاص بالإنسان الذى يعمُر هذا الكون له أيضا قوانينه التى لها نفس الاطراد والثبات ويمكن معرفة هذه القوانين وتلك السنن بالاستقراء فى مدلول آيات القرآن والتى منها :.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

«سورة الرعد من الآية ١١»

وأيضاً :

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

«سورة الأحزاب الآية ٦٢»

وأيضاً :

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾

«سورة الروم من الآية ٣٠»

# الفصل الثالث

## الإسلام وفروع المعرفة

المعطيات العلمية ونظرياتها ليست مطلقة وتتغير الحقائق العملية بمرور الزمن ، حيث يتضح للعلماء جوانب كانت خافية عليهم عند اكتشافهم لهذه الحقائق وعند المعالجة الأولى للموضوع، ولهذا يجب أن نعترف بكل التواضع بجهلنا التام بالحقائق المطلقة للأشياء وذلك يرجع إلى ضيق نطاق قدرة عقولنا وقصور إدراكنا للأشياء تبعا للحدود الخاصة التى وهبها الله للحواس البشرية.

ومثالنا المبسط لذلك يتضح فيما لو أحضرنا برتقالة حينئذ سنجد حواسنا البشرية تراها فى شكل برتقالة بذات الحجم الذى نعهده جميعا فى ظروف الأشعة المرئية.

ولكننا لو أخذنا صورا لهذه البرتقالة فى ظروف أمواج مختلفة من الطيف - أشعة فوق الحمراء أو تحت الحمراء أو الأشعة البنفسجية أو فوق أو تحت البنفسيجية - لوجدنا حجم البرتقالة يختلف باختلاف الصور المأخوذة لها فى كل حالة.

إذن حقيقة البرتقالة وحجمها يختلف باختلاف الإحساس والعوامل المؤثرة فيه.

ومن هنا فإن الحقيقة المتعلقة بحجم البرتقالة ليست مطلقة ولكنها متغيرة بتغير قدرة الإدراك العقلى ووفق متغيرات التطور العلمى ومُكتشفات هذا التقدم العلمى .

والعلم بكافة صورة يسعى لفهم الظواهر المختلفة وتحليلها ، واستنباط القوانين والمعادلات التى تربط بين هذه الظواهر وتحدد العلاقة بينها وفق

قدرة العقل البشرى وما أوتى من العلم وبما تجود به عليه معطيات القدرة ، ومن المسلَّم به أن العلم الإنسانى فى عصرنا وربما فى عصور مقبلة لن يستطيع أن يجيب على أى سؤال يبدأ بكلمة : لماذا ...؟

ولن يستطيع توضيح الأسباب التى تربط بين الأشياء.

فمثلا لا ولن يستطيع العلماء الإجابة على الأسئلة الآتية:

لماذا شحنة الألكترون سالبة ..؟

ولماذا شحنة النيوترون متعادلة ...؟

ولماذا تدور الأرض ..؟

ولماذا تتحرك المجرات ...؟

ولماذا تتجاذب الأجسام ...؟

ولماذا ينتشر الضوء ..؟

. هذه حقائق مطلقة علمها عند صاحب القدرة العليا ولهذا يجب أن يتواضع كل عالم أمام قوله عز وجل :

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

«سورة الإسراء الآية ٨٥»

## الحقائق العلمية ليست مطلقة:

ومن المعروف أن العلماء يبحثون فى فروع العلم المختلفة للاستزادة من المعرفة كلٌ فى فروع تخصصه.

ولا شك آن الكون الفسيح هو أول الأشياء التى جذبت الانتباه والاهتمام للبحث والدراسة منذ القدم.

ولقد زاد الاهتمام فى العصر الحديث حول أصل الكون ووجوده ووقت مولده، ولقد تولى علماء الفيزياء وعلماء الفضاء هذا الموضوع بفيض من الدراسات المتعمقة .

والعلم الحديث اعتبر ما توصل إليه هؤلاء كشفا لبعض الأسرار وتوضيحا لبعض الغموض.

فماذا يقول هؤلاء العلماء حول بداية الكون ...؟

لقد بلور العلماء (واينبرجر وغيره) (wayenberger) المعارف التى توصلوا إليها فى صورة نظرية تسمى النموذج القياسى (Standard Model) أو الانفجار العظيم (Big Bang).

وتقول هذه النظرية أن أصل الكون وبدايته تمثلت فى حدوث انفجار عظيم لا يتصوره عقل بشرى، ولقد شمل هذا الانفجار مكونات الكون فى لحظة واحدة، ونشأ عن هذا الانفجار حرارة هائلة بلغت نحو مائة ألف مليون درجة مطلقة ، وأدى هذا الانفجار وتلك الحرارة الفائقة إلى تفتت الذرات والجزيئات وتحويلها إلى مواد أولية هى الألكترونات والنيوترونات والبروتونات وهى الأجسام الدقيقة جدا والتى تحمل الشحنات الموجبة والسالبة والمتعادلة وإضافة إلى هذه الشحنات نشأ نوع آخر هو النيوترينو الذى ليس له شحنة أو كتلة ولكن له طاقة محدودة وبالإضافة إلى هذا فقد امتلأ الكون إثر هذا الانفجار بالضوء.

وهذه النظرية لم تستطع أن تحدد متى كانت لحظة البداية؟

ولم تستطع أن تحدد ماذا كان عليه شكل الكون القديم ...؟

وهل كان هناك وجود فعلى لكونٍ حدث فيه هذا الانفجار العظيم ...؟

وماذا كانت عليه أشكال المادة فى الكون القديم ...؟

ولماذا انفجر هذا الكون ...؟

## الله نور السموات والأرض :

إن إعجاز القرآن فى مجال العلوم الكونية يضع المدلول المنطقى حول نشأة الكون فى هذه الآيات :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

«سورة النور من الآية ٣٥»

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

«سورة يس الآية ٨٢»

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾

«سورة الزمر من الآية ٦٩»

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

«سورة النور من الآية ٣٥»

وعلماء الفيزياء يُمكنهم الاستدلال على حقيقة علمية دقيقة من خلال بداية البحث حول « نور الله» وكلمة «كن» فالله القادر يؤكد فى محكم آياته أن الكون ولد من الضياء الذى هو بالقياس العقلى فى العلم الحديث «فوتونات» ليس لها كتلة ولا شحنة ولكن لها طاقة تعتمد على الطول الموجى.

وإ ذا كان متوسط طاقة الفوتون تساوى متوسط طاقة الإلكترون أو النيوترون فإنه يسهل تصور تحول بعض الفوتونات إلى الأجسام المذكورة بينما يتبقى باقى الفوتونات على حالتها الضوئية لتظل فى الكون تملأه.

وتحول الفوتونات إلى أجسام كشفت عنه نظريات علمية مثل نظرية الكم وأثبتته التجارب العملية فى معامل الطاقة العالية.

ثم بعد تكوّن الجسَيْمات السابق ذكرها تكونت اللبنات الأساسية للمواد المعروفة فى الكون وهى :

البروتونات، النيوترونات التى كونت بدورها ذرات الهيدروجين بنسبة ٧٣٪.

والهليوم بنسبة ٢٧٪ وهى النسبة التى مازالت فى الكون حتى الآن.

## تمدد المكونات ونتائجه :

وأتت مرحلة تالية لذلك كان مؤداها من جراء التمدد التدريجى للمكونات مما أدى إلى انخفاض فى درجة الحرارة، فتكاثفت المواد وتكونت العناصر الأساسية ثم المجرات ثم النجوم وبدأ الكون حركته وتطورة ولازال متحركا ومتطورا حتى الآن.

## تكوين المجـــرة :

فالمجرة التى ننتمى إليها تتكون من قرص من النجوم بينها مسافات هائلة بحيث يمكننا أن نعتبرها فراغا بالرغم من أن كتلة سحابة النجوم التى تحيط بها تعادل مائة مليار مثل كتلة الشمس.

والشمس بدورها تعادل كتلة ٣٣٣ الف كتلة الأرض وتتحرك فى فلك الله بسرعة ٢٥٠ كيلو مترا فى الثانية أى نحو ثمانية مليارات من الكيلو مترات فى السنة.

وكذلك تتحرك المجرات بسرعات مختلفة فى هذا الكون الفسيح .

ولقد استطاع العالم « هابل» أن يوجد العلاقة بين سرعة المجرات والبعد بينها حيث أثبت أن السرعة تزداد بمعدل ١٨ كيلو مترا فى الثانية لكل زيادة فى المسافة قدرها مليون سنة ضوئية.

والسنة الضوئية تساوى عشرة مليارات كيلو مترا تقريبا.

وإذا كان علماء الطبيعة المعاصرون استطاعوا استنباط عمر الكون باستخدام قياس المسافات التى تفصل بين المجرات وباستخدام السرعة التى تدور بها هذه المجرات لتصل بها إلى هذا التباعد فيما بينها .

وذلك مع افتراض أنها كانت قريبة من بعضها البعض فى بدء تكوينها.

وعلى ضوء هذه الحسابات أمكن للعلماء استنتاج أن عمر الكون يتراوح بين عشرة مليارات وعشرين مليار سنة.

وإذا تناولنا نهاية الكون علميا مثلما تناولنا عمره المستنبط فإننا وبنفس معدل حساب المسافة والسرعة المحددة لمواقع هذه الأجرام فإن هناك أبحاثا فلكية حديثة تدل على أن سرعة انطلاق المجرات فى الكون بلغت حدا بدأت بعده فى الإقلال من هذه السرعة تدريجيا مع الزمن وذلك بفعل التجاذب بين الكتل الموجودة فى كل منها وبين ما تحتويه الأجرام الأخرى من كتل مختلفة.

وتوضح الحقائق العلمية أنه إذا زادت شدة التجاذب بحيث تزداد الكثافة فى الكون عن حد معين فإن الكون ما يلبث أن ينضم إلى بعضه البعض ويُطوَى سريعا.

وهذا ما يشير إليه إعجاز القرآن الكريم كما فى قوله (تعالى) :

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

«سورة الزمر من الآية ٦٧»

ويقول العزيز القدير:

﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

«سورة فصلت من الآية ١١»

وقوله (جل وعلا) :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

«سورة الأنبياء الآية ١٠٤»

# الفصل الرابع

## النظرة القرآنية إلى الكون

الكون فى لغة علماء الكونيات هو الطبيعة وعلومها (Nature) وهو اللفظ الذى يُقْصَد به كلُّ ما فى الكون وكل ما يمكن للإنسان أن يشهده بأية حاسة من حواسه لو استعان فى ذلك بوسائل أو مخترعات أو مبتكرات متقدمة.

والقرآن ينظر إلى الكون نظرة خاصة ويأمر المسلمين إلى اتباع ما جاء فى إعجازه حول الكون.

ويتميز القرآن فى تناوله بالخصائص التالية:

### ١ـ الدعوة إلى التفكير والتدبر:

ويتجلى ذلك فى آياته الكثيرة المعجزة كقوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾

« سورة يونس من الآية ١٠١ »

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

« سورة الطارق الآية ٥ »

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾

« سورة الغاشية الآية ١٧ »

﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾

« سورة الأنعام الآية ٩٩ »

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

(سورة العنكبوت من الآية ٢٠)

### ٢ـ الإحاطة والشمولية:

فالقرآن يوجه إلى النظر والتدبر الشامل وأن يحيط العقل البشرى بكل ما فى الكون من نبات أو حيوان وبحار وأرض ومخلوقات وما وصلنا إليه بحثا ودراسة لنرتقى بها ونصل إلى ما لم نتوصل إليه.

ففى عالم النبات يقول (سبحانه):

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

«سورة النحل الآيتان ١٠-١١»

وعن عالم الحيوان يقول العزيز الحكيم:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

«سورة النحل من الاية ٨»

فهذه نظرات توجيهية إلى الإنسان كى يتناول بعقله ويعى به ما فى هذا الكون كله من ثمرات «كل الثمرات» ما عُرف منها وما لم يُعرف ، ما عنده وما عند غيره، وما خلق الله فى كونه جميعاً، وأيضاً فى عالم الحيوان فنظرة العقل البشرى يجب أن ترتقى دائماً لتكتشف ويزداد علماً وارتقاء.

والإنســان مُكَلَّف بالإحـاطة بكل مـا خُلقَ فى هذا الـكون ، والاّ يتــوقف ليواكب الخواص الديناميكية الدائبة للمخلوقات والأشياء .

## ٣- الديناميكية الدائبة:

ويقــرر القـرآن أن كـل شىء فى هذا الكون الـفسـيح مـتحـرك مـتـواصل الديناميكية:

﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾

«سورة يس من الآية ٤٠»

فالأفلاك تدور وتتحرك.

والأرض فى حركة واهتزاز.

﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴾

«سورة الحج من الآية ٥»

والسماء دائمة الحركة والاتساع :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

«سورة الذاريات الآية ٤٧»

ويؤكد القـرآن أن كل الموجودات فى حـركة دائمة دائبـة ، وليس هناك شىء أو مخلوق يخرج عن طبيعة الحركة والديناميكية.

### ٤- الترابط والتكامل:

والكون معزوفة قدرية ذات إيقاع سرمدى خالد، ومتناغم، ومنسجم ومتناسق ومتتابع ومنظم ، ويشير القرآن الكريم فى تناغم عظيم إلى توالى معزوفة هذا الكون تبعاً لنواميس وضعها الخالق الأعظم سبحانه لتسير عليها ظواهر الوجود وأغيار الدنيا.

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

«سورة يس الآية ٣٨»

ثم:

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

«سورة يس الآية ٣٩»

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ﴾

«سورة يس من الآية ٤٠»

﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

«سورة يس من الآية ٤٠»

ويوضح القرآن ويؤكد على نظام الترتيب فكل شىء يترتب على سابق له فى الحدوث ومؤثر فى ظهوره. فحينما يقول العزيز القدير:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ ﴾

«سورة الروم من الآية ٤٨»

**ثم يقول تعالى:**

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾

**«سورة النمل من الآية ٦٠»**

**يؤكد أن هناك منظومة متتالية الإيقاع والانتظام لكل شىء فى الكون، وأن هذا الكون أجزاء مترابطة من صنع الله الذى أبدع كل شىء ، وأن سنن الله الكونية متكاملةٌ دون تفكك أو انفصال.**

## ٥- ارتقاء المفاهيم والإدراك:

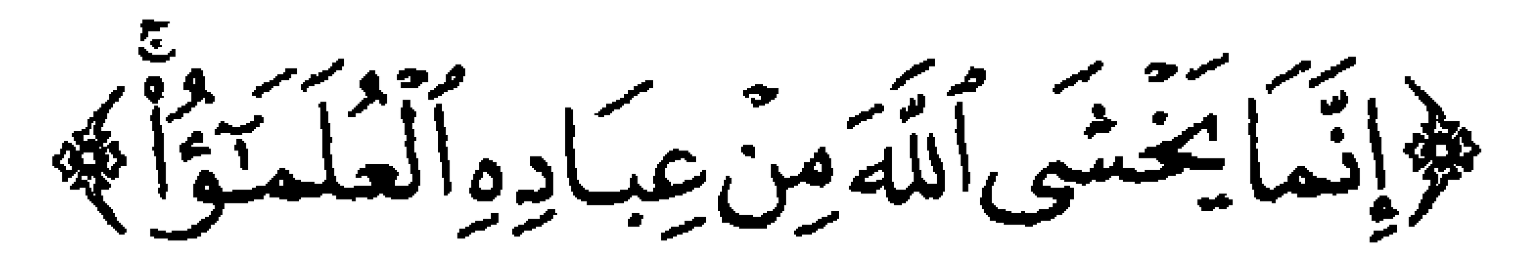
**فالنظرة إلى الكون تحتاج إلى فكر واع متدبر يرفض الخرافات ويرشد نظرة الإنسان المسلم لظواهر الكون وحوادثه ، فمثلما حارب الإسلام الكهانة والعرافة والتمائم واعتبرها من أساليب الشرك كقول الرسول ﴿ﷺ﴾ :**

**«من أَتى عَرافًا فسأله عَنْ شَىءٍ لَمْ تُقبل لَهُ صَلاة أَرْبَعينَ يَوْمًا»**

**وقوله ﴿ﷺ﴾ : «الرُّقَى والتمائمُ والتُّوَلَةُ شِرْك».**

**وهذا نهج إسلامى لارتقاء فكر المسلم والتعامل الواعى لنظام ونواميس أحداث الكون وظواهره بعيداً عن الجهل والضلال.**

**وإذا كان القرآن قد وضع عرضاً دقيقاً لضرورة البحث العلمى فى شموليته وديناميكيته وفى إطار السببية التى تعود إلى نواميس الخالق التى وضعها ومع مراعاة الديناميكية الدائبة للمخلوقات والأشياء فإنه أوْكَلَ هذه المهمةَ إلى من خصهم بالعلم وحدَّد مهمتهم فى خشية الله .**



**«سورة فاطر من الآية ٢٨»**

فإنه سبحانه يحدد الخشية فى العلماء الذين خصهم بالعلم بأسرار الوجود وعجائب الخلق.

فبمثل ما خصهم الله بميزة العقل الواعى والفكر الرشيد مما سهل لهم العلم بأسرار الوجود والمخلوقات فإنه أوجب عليهم الكشف عن هذه الأسرار ومداومة البحث والدراسة التى تمكن الإسلام والمسلمين من الارتقاء والبعد عن التخلف.

## منظومة البحث العلمى فى القرآن :

### ١ـ علوم الحيوان :

استطاعت فنون التقدم العلمى من أدوات ومخترعات أن توضح العجائب والغرائب فى الخلق وفى التكوين ، فمن أجهزة دموية وهضمية وعصبية وتنفسية توجد فى أصغر الكائنات كما توجد فى أكبرها، فقارية أو غير فقارية ثديية أو غير ثديية والبحث فى ذلك فى كل مكان وزمان وفى خلايا الكائنات والأنسجة والأشعار والأوبار، والريش والجلود فلسوف تعطى العلم كل يوم جديداً ولن يتوقف العطاء العلمى أبداً مهما طالت الحياة لأن كل يوم وكل بحث يأتى بجديد وسوف تظهر دائماً النظريات التى تؤكد مدى حكمه الخالق والحكمة من خلق المخلوقات بطبائعها وسلوكها وتكوينها، وهذا العلم ومعطياته يؤديان إلى فوائد من اكتشافها حيث تخدم الإنسانية فى كل مجال .

### ٢ـ علوم النبات :

سوف ينظر العلماء ليروا الحبة توضع فى التربة الرطبة فلا تتلف لكنها تربو وتنضج وتنشق من أسفل عن جذر يمتد إلى باطن الأرض ومن أعلى

عن ساق يصعد شاقاً لنفسه طريقاً بين التراب ، ثم يمر النبات بمراحل حتى يستوى على عوده ويعطى بالثمار الطيبة ما تشتهيه الأفواه وتمتلئ به البطون .

### ٣ـ علوم الجمال :

يتجول الإنسان فى الحدائق والخمائل وتقف نواظره أمام إبداع الخالق فيرى الأشجار متمايلة فى بهجة وجمال تكسوها حلل متعددة الألوان كل ذلك كان ومازال وسيظل مثار إعجاب الإنسان حيث تجرى به قرائح الشعراء وتنساب أقلام الكتاب فيأتون بعلوم الفطرة ومراتع الوجدان ورياض الأرواح والملكات.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾

«سورة الرعد من الاية ٤»

وأيضاً :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

«سورة عبس الآيات من ٢٤-٣٢»

## ٤ـ علـوم الفضـاء :

سنجد علماً لا يقف عند حد وبحوثاً لا تنتهى ودراسات لا تتوقف، وستجد دلالات الإعجاز العلمى فى قول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾

«سورة الرعد من الآية ٢»

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾

«سورة الأنعام من الآية ٩٧»

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

«سورة يونس من الآية ٥»

## ٥ـ علـوم الرياضيات :

نجد قول الحق تبارك:

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾

«سورة الحج من الآية ٥»

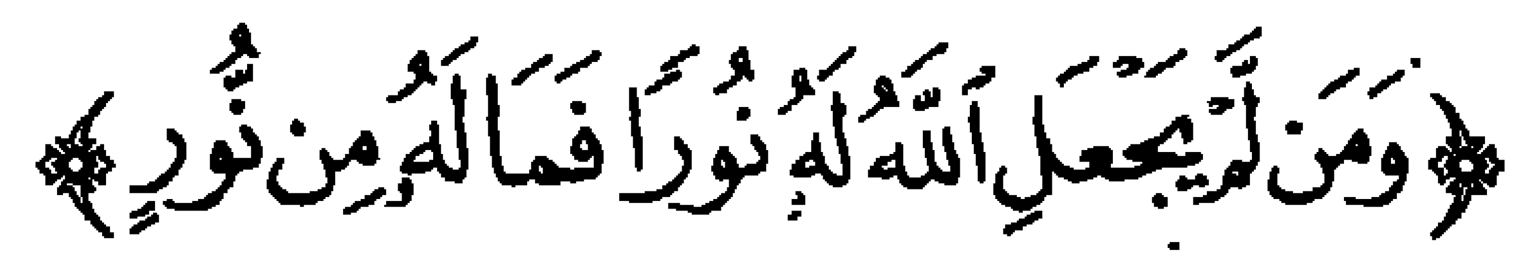
نجد قانون ضغط الحركة والذى يقضى بأنه إذا اصطدم جسمان وكان الأول له كتلة (ك١) وسرعته (س١) والثانى كتلته (ك٢) وسرعته (س٢) فإن الحركة الناتجة عن اصطدامهما تبقى كما لو تحرك جسم واحد بدون اصطدام.

وفى الآية الكريمة نجد أن الجسم الأول هو قطرات المطر التى تصطدم بالأرض فتتولد من هذا الاصطدام حركة حيث تهتز الأرض .

وأثبت العلم حديثاً أن الأرض التى ينزل عليها المطر تهتز إذا قورنت بالأرض التى لا ينزل عليها المطر فهى جامدة.

## ٦ـ علوم البصريات :

يقول (سبحانه) :



«سورة النور من الآية ٤٠»

فهذه الآية هى التى جعلت العالِمَ المسلم الحسن بن الهيثم يخرج على العالم بنظريته فى الضوء والتى لا تزال ثابته حتى يومنا هذا.

وهكذا فإن الإعجاز العلمى فى القرآن أعطى ويُعطى وسيعطى من فيضه زاداً لعلماء الأجيال ويؤكد على أهمية البحث الدائم، والاستقصاء الدائب ، والتفكير المستمر فى جوانب الكون فى خلايا الإنسان ودقائقها وعلاقاتها وفى أمواج البحر وحفيف الشجر وخرير المياه وإبداع نقوش الجبال، ونعمة ما تخرجه الأرض وأهمية ما تنزل به الأمطار فى كل دقيق وكبير، فى كل ما هو نافع أو ضار فى عالم الدنيا من حولنا، فيتمُّ التفاعل والمشاركة فى صنع حضارة البشرية.

فالقرآن يمثل ندوة علمية للعلماء، ومعجَمَ لغة للغويين، ومُعَلِّمَ نحوٍ لمن أراد تقويم لسانه، وكتابَ عروض لمحبِّ الشعر، وتهذيبًا للعواطف ، ودائرةَ معارف للشرائع والقوانين.

فلماذا لا نتجول بعقولنا لننهل من بحور العلم ونعيد أمجاد الأمة الإسلامية مثلما فعل الأجداد السابقون ..؟

# الفصل الخامس

## شاشة الكون الإلهية

تؤكد معطيات العلم الحديث أن جميع الأعمال التى يؤديها الإنسان حركة أو صمتاً ليلا و نهاراً، نطقاً أم إشارة ، فى الظلام أو النور، هى حركات بشرية تصدر عنها حرارة بصفة دائمة، ومستمرة وتترك آثارها وبصماتها فى مكان حدوثها وتظل هكذا إلى الأبد، وهذه الحرارة تعكس أشكالها وأبعادها تماماً وباستمرار، ولا تتبدد أو تتلاشى مطلقاً بما فيها من هيكل ومضمون.

ولقد استطاع العلماء اختراع آلة تصورُ الأشياءَ حيثما خرجت منها حرارة ومن هنا فإن الحرارة التى تصدر عن الإنسان وهو نائم غير الحرارة التى تصدر عنه وهو واقف أو منحن أو سريعٌ أو بطىءٌ أو منفعل أو خائف أو متردد، فكل حرارة تصدر تحدد فعلا ، وتظهر معنى.

والموجات الحرارية التى تخرج من الجسد أثناء وجوده فى أى مكان عند أى فعل معين تبقى دائماً ويمكن الحصول على تسجيل كامل فى أى وقت لها، وهكذا يقول العلم .

ولكن آلات التصوير التى تم الوصول إليها واختراعها حتى الآن لا يمكنها التقاط الصور الحرارية إلا خلال فترة زمنية محددة لا تزيد عن أربع ساعات، أما بعدها فلا تستطيع هذه الآلة التقاط صورة حرارية .

ومن خلال هذه المعطيات يمكننا أن نتصور كيف يكون الحساب فى المحكمة الإلهية الكريمة ..؟ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾

«سورة الكهف من الآية ٤٩»

وتوضح هذه الآية التسجيل الدقيق لأفعال الإنسان وتؤكد أن أجهزة الله القادر تسجل أفعالنا ـ وتقريباً للأذهان ـ فمثلما نستطيع مشاهدة فيلم بطله قد مات منذ عشرات السنين ونسمع صوته ونتفاعل معه فإن الله بعلمه وقدرته قادر على تسجيل كل ما يدور فى الأذهان ويجول فى النفوس، فى السرِ والعلن ويحفظه إلى الأبد.

كل ما ينطق به اللسان من كلمات يُسجَل تسجيلا دقيقًا فنحن نعيش عالمًا إلهيًا متفوقاً فى القدرة العلمية والقدرة البالغة التعقيد والتى تعجز عن إدراكها عقول الخلق جميعاً، فأمامنا كاميرات إلهية تعمل بصفة دائمة لا تتعطل أو تتوقف ولا تفرق بين ليل أو نهار حتى أنها تستطيع تسجيل وتصوير أعمالنا القلبية، واللسانية والحركية بدقة تامة .

وسوف تُعرض قضيةُ كلٍ منا أمام محكمة العدل الإلهية التى أعدت وثائق الحساب دون سهو أو تحيُز، فالعادل (سبحانه) لا يظلم أحداً ويكون الحساب بدقة متناهية وهذا ما تؤكده أيضاً الآية الكريمة الآتية:

﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

«سورة ق الآية ١٨»

وبِتَبْسيط علمى أكثر فإنه يمكن فهم الآتى :

إن أحدنا عندما يحرك لسانه ليتكلم يحرك بالتالى موجاتٍ فى الهواء كالتى توجد فى الماء الساكن عندما ترمى فيه بقطعة حجر، وهذه الموجات فى الظروف العادية تصطدم بطبلة الأذن التى تقوم آليا بإرسال هذه الموجات إلى العقل فما نفهمه من المعنى يسمى «سماعا».

ولقد ثبت علميا أن هذه الموجات تبقى كما هى فى الأثير إلى الأبد بعد حدوثها فى المرة الأولى، ومن الممكن سماعها مرة أخرى، ولكن العلم الحديث عاجز حتى الآن عن إعادة هذه الأصوات أو التقاط هذه الموجات

مرة أخرى ، مع أنها لا تزال تتحرك فى الفضاء منذ زمن حدوثها، ولكن العلماء يؤكدون قرب حدوث ذلك، ومنها سوف يتحقق سماع أصوات الأجداد ويمكن قراءة وسماع كل شىء عن أمورهم وحياتهم وحقيقتهم فيما لو تم اختراع هذا الجهاز السحرى المماثل للراديو، ولكنه يتفوق فى أنه يستطيع تحديد موجات تلتقط عن الأزمنة المختلفةُ والأجيال المتعاقبة ، وعلميا ونظريا يسلم العلماء بإمكان اختراع هذا الجهاز الذى يفرق بين اصوات الزمن القديم، ومن هذا الجهاز سوف يمكن سماع الأصوات القديمة فى المستقبل وسوف لا تكون نظريةُ الآخرة بعيدة عن القياس فى فكر العقل البشرى ، لأن هذا العقل الذى يكون قد استطاع اختراع آلة تلتقط أصوات الأجداد والأجيال السابقة لا يستغرب ما ينص عليه القرآن حول أحداث يوم القيامة حينما يأمر الله أصوات آلاته القدرية بعرض ما حدث من الإنسان.

مصورا مجسداً مسموعا ومرئيا ومحسوسا، من خلال كتاب لم يغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها. ويعبر عن ذلك رب العزة فى قوله (تعالى):

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

«سورة الإسراء الآية ١٤»

ويجد كل إنسان حسابه أمامه، وأقواله وتصرفاته، يراها ويسمعها، ويصور لنا القرآن صورة من خسر ومن تطاول عنادا وظلما فإنه سوف يأخذ كتابه بشماله ومصيره النار، ويوضح كيف يعذب وما هى وسيلة الإحساس بالعذاب ..؟

إنه جلد الإنسان الناقل للإحساس.

# جلـد الإنسـان الناقل للإحساس

من القرآن الكريم يستخلص العلماء نظريات علمية عن كينونة الإنسان، وبخاصة تلك المتعلقة بجلود الإنسان.

فـالخـالق يعلم تفـاصـيل مـا خلق ودقـائق مـا أبدع وصـور، ثم إنـه يجـود بعلمـه على من يشـاء، وأنى شاء علـى عبـاده، فـيعـرفـون مـا شـاءت لهم إرادته سبحانه أن يعـرفوا، ويكتشفون مـا شاء الله لهم أن يكتشفوا.

وتأتى المعارف الخـاصة بالإنسان ضـمن هذا العلم الذى يؤتيه الله لعـباده الذين خـصهم بالعلم والمعـرفة، وإن توصـل العلمـاء إلى بعض الحـقائق عن جلود الإنسان فـليس هذا الذى توصلوا إليه هو منتـهى العلم، بل هو قطرات من بحـر لا يجف أو ينضب مداد أقلامه القـدرية.

والجلود آشـار إليهـا القرآن الكريم إشـارات موجـزة، إلا أنها عـامـرة برمـوز العلم للمدقق والمنقب، ولهذا يقول العلى الحكيم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

«سورة النساء الآية ٥٦»

وهذه الآية تشـيـر إلى علـم قـديم فـى علـم الله، جـديد علـى الدنيـا، وهـذا العلـم توصـل إلى أن الجلّد هـو وعـاء الحسّ، وهـو المسـتـودع الـذى أودع فـيـه الخـالق الأنسـجة والأعـضـاء والأجـهزة كـالقلب والرئـتين والعـضـلات، أى أنه الغلاف الواقـى العـازل لكل مـا يُكوِّن هيكل النفس الحية ، ويعـزلها، ويمنعـها من التـعـرض لتـأثيـرات الجو الخارجى.

أو هـو جهاز التكييف الإلهى الذى يعمـل علـى تنظيم درجـة حرارة الجسم، وثباتها عند درجة ٣٧ درجة مئوية مـهمـا كانت درجة الحـرارة المحيطة «برودة

أو سخونة»، وذلك بفعل غدد العرق المنتشرة من طبقة الأدمة والتى تصل إلى سطح البشرة عن طريق قناة لها فتحة على سطح الجلد، وكل غدة من هذه الغدد محاطة بضفيرة من الأوعية الشعرية تقوم بترشيح سائل العرق من الغدد، ثم إلى القنوات التى تفتح على سطح الجلد حيث تحدث عملية البخر الذى ينتج عنه انخفاض درجة حرارة الجسم.

ومن ناحية أهمية الجلد تجاه ظاهرة الإحساس فمرد ذلك إلى كثرة النهايات العصبية المنتشرة فى الأدمة خاصة وأن علوم التشريح أثبتت أن الجلد يتكون من طبقتين هما البشرة والأدمة.

## البشـــرة :

هى الطبقة السطحية من الجلد، وتتكون من خلايا مفلطحة خارجية متراصة ميتة تحتوى على نسبة كبيرة من البروتين القرنى تتلوها خلايا عند قاعدة البشرة، وهذه الخلايا الحية تنقسم وتندفع نحو سطح الجلد حيث تفقد الحياة وتتحول إلى خلايا ميتة تستهلك بصفة مستمرة بالاحتكاك فتتجدد تلقائيا.

ويتلو هذه البشرة طبقة أخرى تسمى الأدمة.

## الأدمـــة :

هى الطبقة التالية للبشرة بخلاياها الميتة والحية ، والأدمة طبقة ليفية ، تنتشر بها الأوعية الدموية، والغدد العرقية، والدهنية، وأجرية الشعر ، وتكثر بها النهايات العصبية.

فما هى هذه النهايات العصبية..؟

إنها تمثل نهايات الخلايا الحسية المنتشرة فى كل الجلد ، وهى مثل كل خلايا الجسم فى التكوين وفى الوظائف، إلا أنها تمتاز عن غيرها بأنها دقيقة وطويلة لدرجة أن خلية واحدة من هذه الخلايا قد يمتد طولها من إصبع القدم إلى الرأس، وطولها هذا يرجع إلى أنها تمثل الوسيلة الدقيقة للاتصال والاستشعار الداخلى والخارجى وأنها عن طريق نهاياتها العصبية المنتشرة بالجلد تقوم بنقل الإحساس المختلف من النهايات إلى مراكز الإحساس بالمخ بسرعة فائقة تصل إلى ٣٠ مرة فى الثانية ذهابا وعودة من إصبع القدم إلى مركز الإحساس بالمخ وهى تساوى سرعة مائتى ميل فى الساعة.

وكذلك تتنوع هذه الخلايا العصبية شكلا ووظيفة وتركيبا وتبعا لذلك تختص نهايات هذه الأنواع بتوصيل نوع واحد من الإحساسات إلى مراكزها فى المخ.

فالإحساس باللمس الخفيف أو الضغط الشديد والإحساس بالحرارة أو اللذة تقوم الأنواع المختلفة من هذه الخلايا بتوصيله كلٌ فى اختصاصه وكل إلى مراكزها المخية.

وحيث يتواجد لكل نوع من المراكز الحسية المخية إشاراتها وترجماتها وأوامرها الفورية استجابة للأفعال وردود الأفعال المناسبة.

فمثلا إذا لمسنا مصدراً حراريا تتأثر نهايات الخلايا العصبية الموجودةُ بالجلد والمتخصصة فى نقل هذا النوع من الإحساس عند موضع اللمس ونحس بألم الحرارة.

وبسرعة شديدة تنتقل الإشارات إلى مركز الإحساس فى المخ الذى يصدر الأوامر لعضلات الذراع بتحريك اليد بعيداً عن المصدر، كما تتدفق الإشارات المترجمة والمحدَّدَةُ بدقة مقدارَ ما يعانيه اللامس من الألم.

ويأخذ الجلد البشرى قدره من الاهتمام من حيث تأثيره على الإحساس والشعور الإنسانى ، وبحكمة الخلاق القدير جعل هذا الجلد بما فيهِ من خصائص شعورية وسيلة لعقاب الكافرين فيقول (تعالى) :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

«سورة النساء من الآية ٥٦»

ولهذا يتوعد سبحانه الكافرين بأنه كلما احترقت جلودهم وتلاشت قدرة الخلايا الحسية وماتت نهايات الاستشعار العصبى وأصبح الإحساس بالألم غير ذى أثر ، بدل الله الكافرين جلوداً غير هذه الجلود ، وجدد الخلايا العصبية بما يمكّن الجلدَ من نقل الإحساس بالألم والعذاب.

أليس من الواجب علينا وقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام وبكتابه الخالد المعجز ذلك القرآن الكريم أن نتدبر ونعيَ ونعلم ونتعلم ونقرأ ونفكر لنرتقى فى الدنيا بمعطَيات القرآن السرمدية ونرتقى فى الآخرة ونكون من الفائزين.

يقول (تعالى) :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

«سورة الأنعام من الآية ٣٨»

# الفصل السادس

## العلم ومستقبل الأرزاق

ذرية الخليل إبراهيم تمتد من عصره إلى العصور المقبلة حتى يرث الله الأرض وما عليها.

وذرية إبراهيم هى كل من جاء من نسل أولاده إسماعيل وإسحاق ومديان، ولقد تزوج إسماعيل وأنجب اثنى عشر ولداً هم أصل أسباط العرب جميعا الذين انتشروا فى شبه الجزيرة ، وهاجر بعضهم إلى إفريقيا وبعضهم إلى آسيا.

أما إسحاق الذى أنجب عيصو ويعقوب فإن عيصو هو أبو الروم الذين سكنوا تركيا وانتشروا فى أوروبا جميعا، ويعقوب الذى أنجب اثنى عشر ولداً منهم الصدِّيق يوسف الذى ملك خزائن الأرض فى مصر.

ولقد جاء نسل يعقوب إلى مصر فى موكب يتكون من ثلاثة وسبعين فرداً وعاشوا فى مصر حتى خرجوا بقيادة موسى قرابة المليون ونصف المليون سيراً إلى أرض كنعان "أرض الميعاد" .

وحينما يدعو الخليل إبراهيم رب العزة دعاءه المشهور:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾

«سورة إبراهيم الآية ٣٧»

فإنه يضع أساس القاعدة العلمية لإعمار الكون وتكامل الأرزاق فالوادى الذى هو غير ذى زرع مصدر رزق.

والصلاة وقيامها وسيلة للحصول على كنوز الرزق، لأن الصلاة هى وسيلة التقرب إلى الله الرازق ، والصلاة ليست شعائرَ تؤدى أو تراتيل أو خشوعا وخضوعًا فى طقوس من أجل طاعة الله فحسب وإنما جوهر الصلاة فى كل الأديان أو الشرائع هو التأمل والتدبر فى علم الله وقدراته وحكمته، واستثمارُ العقل الذى هو بمثابة افضل نعم الله على الإنسان.

وافئدة من الناس تهوى إليهم: فهاهم أولاء عباد الله المعتمرون والحاجون تهفو قلوبهم إلى مكةَ والأرضِ المقدسةِ حاملين الأرزاق قادمين فاعلين متفاعلين فى نموذج اقتصادى فريد أخذاً وعطاء.

وأيضا جاء العلم الحديث والتدبر الفكرى والتكنولوجى فى القرن التاسع عشر باكتشاف الطاقة القائمة على البترول، وباكتشاف أرزاق هائلة تهفو إليها عقول العالمين من أجل إنعاش ثروات الأمم تلك الثروات التى كان ومازال معظمها فى الأرض المباركة.

وارزقْهم من الثمرات: فالعلم الحديث أكد أن دعوة إبراهيم بالرزق والثمرات جامعة شاملة لذريته وغيرهم، فها هى ذريته وقد انتشرت فى كل بقاع الدنيا ، وتعايشوا وتزاوجوا بغيرهم.

ولكن دعوة إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وضعت النموذج الفريد والمثالى لإعمار الكون ورزق العباد.

فإذا كان الوجود البشرى فى آيةِ بقعة من بقاع الأرض حتى ولو كانت غير ذى زرع، وعُمِّرت القلوب بالإيمان والإخلاص وكان الوجود الإنسانى فى هذه الأرض متقربا إلى الله عاملا عالما بأسرار الوجود المرتكز على الفكر والعلم والبحث تفاعلت الكونيات والماديات لإرادة الإنسان ، وجادت الأرض الجدباء وأعطت.

والدليل العلمى على ذلك فى عصرنا يعد مقدمة لمظاهر علمية أكثر تطورا فها هى البحار بمياهها المِلْحَةِ تُسْتَنْبط لها سلالات من زروع ونباتات سوف تزرع على سطحها.

وها هى الصحراء تخصب.

وها هى الأمطار الصناعية فى مراحلها العلمية المؤدية إلى الوصول بها إلى حيث إرادةُ الإنسان.

فهذا الدعاء الخالد موجه إلى كل البشر وكل الأجناس لإرساء قواعد علمية لكل الأجيال تؤكد على:

١. أنه ليست العبرة بالمكان والزمان، فكل بقاع الأرض خصبةً أو جدباء قد خصت بأرزاق دفينة، وأن الرزق مرتبط بالتفاعل الفكرى والتدبر العقلى، فبالعقل العابد المتأمل فى علم الله الذى يعطيه من يشاء تكون الوسيلة إلى البحث والكشف والوصول إلى غايات علمية تحقق الاستفادة من كنوز الرزق وتسخير قدرات الطبيعة لإسعاد البشر.

٢. أن الكون وحدة إنسانية كاملة متكاملة ، فالأفئدة وهى تهفو إلى التكامل الإنسانى تتكامل فى إطار من الأخذ والعطاء وفق نموذج روحى يؤكد على أن التميز لفئة دون أخرى ما هو إلا لتحقيق الارتباط الوثيق:

﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾

«سورة الحجرات من الآية ١٣»

٣. أن مصالح خلق الله وأرزاقهم خارجةٌ عن الحدود والحواجز التى يصنعها البشر.

٤. أن حمد الله وشكره مرتبط بالبحث العلمى والمنهج الفكرى الذى يحقق مزيداً من الترابط الاقتصادى دون بغى أو تسلط أو اعتداء.

# الباب الثانى

**الفصل الأول:**

- **الكون**

**الفصل الثانى:**

- **العلم الإلهى وصناعة الغيث**

**الفصل الثالث:**

- **العلم واطمئنان القلوب**

# الفصل الأول

## الكـــون

الكون هو كل مـا هو كـائن فى الحـيـاة الدنيـا من حى وجـامـد ومـا عـجـز الإنسـان حتـى الآن من وضـعـه فى أقسـام الحى أو الجـامـد ويعـنى هذا أنه مـا ضم كل الموجـودات والمخلوقـات فى الأرض الهـواء والماء، ومـا رُئى بالنظر ومـا رئى بأدق المنـاظيـر والمجـاهر، ومـا اسـتطاع الإنسـان تحـديده، ومـا حـار فى تحديده، وما سـوف تصل إليه الأجيال القـادمة ، وما وصل إليـه الإنسان، وما عـرفه ومـا لم يتم التعـرف عليه حـتـى الآن ومـا لم يصل إليه العـقل البشـرى حتـى الآن يشمله الكون الذى دعـا الخالق العظيم إلى التـفكيـر فيه والتـدبر بشأنه فى محكم آياته.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

«سورة آل عمران الآية ١٩٠ ومن الآية ١٩١»

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾

«سورة الطارق الآية٥»

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

«سورة يونس من الآية ١٠١»

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

«سورة الأعراف الآية ١٨٥»

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

«سورة الغاشية الآية»

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

«سورة العنكبوت من الآية ٢٠»

ولقد خلق الله كونه الواسع العريض بمحكم قدرته ، وخلق الأرض والسماء والشمس والقمر، وجميعها تعرف فى علوم الكون «بالأرض».

وليست الأرض إلاّ كوكبا واحدا من كواكب المجموعة الشمسية ، وليست المجموعة الشمسية إلاّ إحدى مجموعات مجرة « التبانة».

ومجرة التبانة ليست إلاّ مجرة واحدة من آلاف المجرات الكونية، وأهل كوكبنا ليسوا إلاّ جنسا من الأجناس أو المخلوقات ، فهناك مخلوقات أخرى تمثل عوالم متعددة خلقها الله سبحانه ولا نعلم عنها شيئا:

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

«سورة المؤمنون من الآية ١٤»

# المجموعة الشمسية

تتكون المجموعة الشمسية من سبعة أجرام وتختلف هذه الأجرام تماما عن بعضها من حيث التكوين والحجم والحرارة، وكما أنها تسبح فى أفلاك منفصلة تحتل الشمس بؤرتها.

وهذه المجموعة الشمسية كانت فى الأصل ضمن سديم كونى قديم قوامه الغاز الكونى (الأيدروجين) ثم انفصلت بعمليات الفتق التى تتمثل فى الدوران والجاذبية. ويقول العلى القدير فى هذا:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾

«سورة الأنبياء من الآية ٣٠»

والشمس نجم متوسط الحجم، وتبدو لنا كبيرة لقربها منا وقد سخرها الله لتكون مصدراً للنور والحرارة على الأرض.

وقال (تعالى) فى هذا:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾

«سورة يونس من الآية ٥»

وهكذا ترسل الشمس طاقاتها عبر الفضاء الكونى فيصل منها إلى الأرض الآتى:

**النور:** وهو الذى يمثل ٤٥٪ من طاقة الشمس حيث تُنار به قشرة رقيقة من غلاف الأرض الجوى لا يزيد سُمْكها على ٢٠٠ كيلو مترا فوق سطح الأرض.

وبعمليات التشتيت وتناثر الضوء فى تلك الطبقة يغمر الضوء كل الاتجاهات على الأرض حتى تلك الاتجاهات التى ليست مواجهة للشمس.

**الحرارة:** وتمثل ٤٦٪ من الطاقة وهى أشعة تحت الحمراء. وتوفر لنا الدفء على الأرض ، وتوفر الطاقةَ اللازمة لإرسال الرياح فى مساراتها وتبخير الماء من المحيطات والبحار لكى تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحب.

ويقول (تعالى) :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾

**«سورة إبراهيم من الآية ٣٣»**

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾

**«سورة الروم من الآية ٤٨»**

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾

**«سورة فاطر من الآية ٩»**

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ (٢٢) ﴾

**«سورة الحجر الآية ٢٢»**

**الأشعة فوق البنفسجية :** وتمثل ٩٪ من الطاقة الشمسية ويمتص الغلاف الجوى العلوى فوق سطح الأرض منها ٧ وحدات ويحولها إلى حرارة تعمل على حفظ درجة حرارة تلك الطبقات المعرضة لزمهرير الفضاء الكونى الذى تنخفض فيه درجة الحرارة إلى ٢٦٠ درجة تحت الصفر.

والشمس وفق مدارها لا توزع ساعات الليل والنهار على سطح الأرض بالتساوى ولكن بتغير الزمان والمكان.

إلا أنه فى الدائراتين القطبيتين يتساوى طول الليل والنهار فى اعتدالى الربيع والخريف فى ٢١ مارس، ٢٣ سبتمبر على التوالى.

وكذلك فإن أطول ساعات الليل فى شتاء نصف الكرة الشمالى فى ٢٢ ديسمبر وأطول ساعات النهار فى ٢١ يونيو.

أما داخل الدائرة القطبية فإن طلوع الشمس يظل ستة أشهر من غير غروب ولهذا تسمى (شمس منتصف الليل) حيث لا يحجبها حجاب ثم يدوم الليل كذلك ستة أشهر تغرب فيها الشمس ولقد ذكر إعجاز القرآن وذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾﴾

«سورة الكهف الآية ٩٠»

**دورة الشمس :**

والشمس متحركة مثل كل شىء متحرك فى هذا الكون ومادام هذا أمر لا يقبل الشك، فلابد أن يكون لهذا الكون بما فيه من يحركه ويدبر أمره.

فلننظر إلى قول الله (تعالى) :

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

«سورة يس الآية ٣٨»

فماذا يعنى حسب ما بلغنا من العلم حتى اليوم ...؟

يقول رسول الله ﴿ﷺ﴾: (عن أبى هريرة) :

**«لاَ تَقُوم السَّاعَة حتَّى تَطلُع الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا».**

وعن أبى ذر أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال:

**اتدرون أين تذهب هذه الشمس...؟**

قالوا : الله ورسوله أعلم قال :

**« إنَّ هَذِهِ تَجْرِى حتَّى تَنْتَهِىَ إلَى مستقرها تَحْتَ العرش ».**

عرفنا أن الشمس تشرق علينا بعد أن تغرب عن غيرنا وتغرب عنا لتشرق على غيرنا.

والشمس لا تغيب عن الكون.

والشمس مستقرة تحت العرش وخاضعة لقدرة خالقها تُسَبِّح بحمده وتسجد له ، شأنُها شأنُ جميع الكواكب وما فى السموات. فالقادر يحيط بها ويحتويها ووضع أقدارها ، والشمس فى جميع حالاتها تخضع وتذل لمسخِّرها وتجرى بأمره وبإذنه، والشمس ستظل على حالتها العادية فى مستقرها ومسيرتها حتى يأتيها أمر الله لها بأن تطلع من الغرب.

إن هذا اليوم سيكون بإذن الله وأمره وهو فى علمه وغيبه يومَ أن تنتهى الدنيا، وتجف أقلام الكتبة.

إن ذلك اليوم من علامات الساعة الكبرى، كالمسيخ الدجال الذى يختبر الله به عباده، بما يُظْهِرُ من خوارقِ العادات، وكالدابة التى يخرجها الله من الأرض، تميز المؤمن من الكافر وتكلم الخلق . أن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون ، فاليوم يوقنون بالمشاهدة ويؤمنون بِمَا كانوا ينكرونه، ويندمون على ما فاتهم، حيث لا تنفع الحسرة، ولا ينفع الندم.

والعلم يقول فى ذلك الكثير.

فأصبح من المعلوم أن الشمس تدور حول نفسها فى فلك خاص ومحدد من قِبَلِ العلى القدير وأن الأرض تدور أيضًا حول نفسها أمام الشمس من الغرب إلى الشرق.

وهكذا يبدو للعين أن الشمس تجرى من المشرق إلى المغرب وعندما نقول طلعت الشمس علينا فالحقيقة أننا نحن الذين طلعنا على الشمس فظهرت لنا.

وإذا قلنا غابت الشمس عندنا، فالحقيقة أننا الذين غبنا عن الشمس وذلك بدوران الأرض واختفاء الجزء الذى نحن عليه من أمام الشمس فى نفس وقت ظهور الجزء الآخر من نفس الكرة الأرضية أمام الشمس. وعند الحديث عن طلوع الشمس من المغرب فى آخر الزمان كعلامة من علامات تبدل الأحوال معناه أن الله يغيّر حركة دوران الأرض ويعكس اتجاهها حتى تصير دورتها من الشرق إلى الغرب فتبدو الشمس طالعة من الغرب متجهة نحو الشرق وذلك بقدرة الله القادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن وتبديل الحركات وذلك تقدير العزيز العليم.

ثم إن التعبير القرآنى « لمستقَرٌ لها» فالشمس فى فلكها ودورتها حول نفسها قد وضعها الخالق فى فلك مستقرَ لا يتغيّر فى أى لحظة وهذا الفلك فى نظام مستقر لا تغيير فى دورته وحركته وسكونه ووفق نظام قدرى دقيق وفى إطار طاعة من المدبر والانقياد لأوامره .

## القمر (قمر الأرض) :

يقول (تعالى) :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾

«سورة إبراهيم الآية ٣٣»

ومن عظمة الله أن سخر القمر لأهل الأرض حيث ينظم حركة دورانها حول محورها، ويمدها بالنور ليلاً ويعين البشر على حساب الشهور والسنين وأهِلَّة القمر لها دور كبير فى خدمة الناس:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾

«سورة البقرة من الآية ١٨٩»

والأهلة تمثل مطالع الشهور القمرية ويختلف نور القمر تبعا لمنازله ويقول الله تعالى في محكم آياته :

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾

«سورة يونس الآية ٥»

والإعجاز العلمى للقرآن يوضح أن للقمر هذا دوراً كبيراً فى تحديد الزمن وحساب الأيام.

ومنازل القمر هى التى تسهم فى العالم بحساب الأيام والسنين، والقمر عالم ميت خرب لأنه فقد غلافه الهوائى الذى تسرب إلى ساحة الفضاء الكونى لضعف جاذبية القمر، ولهذا فقد القمر ماءه وصار لا يصلح للحياة.

ومن المعروف أن منازل القمر أو أوجه القمر خلال دورته الشهرية تختلف تبعاً لموقعه من الكرة الأرضية خلال الشهر القمرى الذى قوامه ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة، ٤٤ دقيقة ٢,٨٢ ثانية والسنة القمرية ٣٥٤ يوماً (٢٩,٥ يوم شهرياً × ١٢ شهراً).

أما فروق الدقائق فهى تعادل ١١ يوماً كل ٣٠ سنةوعلى ذلك فإنه كل ٣٠ سنة تمر ١٩ سنة بسيطة عدد أيامها ٣٥٤ يوماً، ١١ سنة كبيسة عدد أيامها ٣٥٥ يوماً.

وتكمل كسور الثوانى فى الشهر القمرى وتتم يوماً واحداً كل ٢٥٠٠ سنة.

ومن صور الحساب المعجز فى القرآن الكريم ما جاء فى سورة الكهف عن أهل الكهف فقال تعالى:

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾

«سورة الكهف الآية ٢٥»

وذلك لأن ما لبثوه فى الكهف بالسنين الشمسية التى كانت مألوفة فى بلاد الروم ٣٠٠ سنة إلاً أنها بالسنة القمرية ٣٠٩ سنة، أى بزيادة ٩سنوات حيث إن السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢ يوماً.

والقمر أيضاً مصدر سرور وبهجة للوجدان ، وهذا القمر العزيز لو كانت المسافة التى تبعده عن الأرض أقل مما هى عليه لازداد المد وترتب على ذلك إغراق المحيطات والبحار لليابسة، ولو اقترب أكثر لجذبته الأرض وضاع كل شىء، أما لو كانت المسافة أكثر مما هى عليه الآن لانعدم المد والجذر وربما جذبته الكواكب الأخرى مما يؤدى إلى تدمير الكون.

## الكواكب السيارة :

يقول (ربُّ العزة) :

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾

«سورة الصافات الآية ٦»

ويقول (تعالى) :

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ «سورة الإنفطار الآية ٢»

ومن الكواكب عطارد ، الزهرة، الأرض، المريخ، المشترى، زحل، نبتون، أورانوس، بلوتو.

وهذه الكواكب مثل الأرض لها قشرات تصلبت بالتبريد ولها أغلفة جوية من غازات مختلفة، وكلها تسبح حول الشمس.

ومن المعروف أن عدد الكواكب السيارة تسعة ، وإن كان قد تم كشف كوكب عاشر، ولكننا نجد فى كتاب الله وفى سورة يوسف:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

«سورة يوسف الآية ٤»

وقد يعنى هذا برغم أنه قَصَصٌ يحكِى عن يوسف ما رآه فى منامه إشارة إلى إخوته، وأنه ربما يكون هذا الحلم ممثلا للعدد الحقيقى للكواكب السيارة والتى قد يسفر العلم عن اكتشاف الكوكب الحادى عشر.

وأول ما يظهر فى السماء عند الغروب كوكب الزهرة، حيث تبدو كنجم يلمع ويتألق ويعرف باسم نجم السماء أو نجم المغرب وذلك لأنه يظهر مباشرة بعد غروب الشمس .

ومن آيات الإعجاز العلمى فى القرآن إطلاق اسم الكوكب على الزهرة عندما يجن الليل فقال (تعالى) :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾

«سورة الأنعام من الآية ٧٦»

## المذنبات :

تسبح المذنبات فى مسارات حول الشمس إلاّ أن مساراتها مستطيلة جداً بحيث تطول فترة اختفاء المذنب فى الفضاء الكونى عندما يروح متباعداً عن الشمس بعد فترة اقتراب، ويمكث بعيداً مدة طويلة كأنما هو (يَخْنِس) فيها.

ويقسم الله بالمذنبات فيقول جل وعلا:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴾ «سورة التكوير الآية ١٥»

ويتكون المذنب من منطقة وسطى ضخمة لها ذيل طويل من الغازات والأتربة الكونية، وعندما يقترب في مساره من الشمس تدفع أشعتها مكونات الذيل فَيستطيل جداً بحيث يبدو وكأنه يكنُس السماءَ، وهي تسبح بسرعة خارقة.

ويقول العزيز الحكيم:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾

«سورة التكوير الآية ١٥-١٦»

ولقد بلغ طول مذنب هالى نحو ١٠٠ مليون ميل وبذلك امتد عندما ظهر عام ١٩١٠ عبر مسافة تفوق البعد بين الأرض والشمس ودامت دورته زهاء ٧٥ سنة.

وعن السموات يقول (سبحانه) :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾

«سورة البقرة الآية ٢٩»

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

«سورة المؤمنون الآية ٢٩»

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾

«سورة نوح الآية ١٥»

فليس هناك بعد هذه الآيات شك حول عدد السموات والأرضين فكلاهما سبع، إلاَّ أن الجدل العلمى والخلاف قائم حول ما وراء ذلك وبخاصة ما يتعلق بالمكان والكيفية.

وأيضاً لم يقدم لنا العلم المعاصر إجابة عن تساؤلاتنا : هل السموات طبقة بعد طبقة ..؟ أى هل هن علويات بعضهن فوق بعض ومتصلات ، أم

هن علويات منفصلات وبينهن فراغ أو خلاء .. ؟

وإن كانت رموز الإسراء والمعراج والحديثُ المشهور حولها يؤكد أن السموات السبع منفصلات وأن الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ عُرج به إلى السموات وكل سماء وَجَدَ فيها ما وجد منفصلا عن الأخرى ثم إنها بمثابة درجات.

## معطيات علوم الفلك المعاصرة وآثارها :

ومع تقدم علوم الفلك ، ومع استخدام المناظير الفلكية الهائلة، تم اكتشاف كواكب أخرى غير الكواكب السبعة التى كان يعرفها القدماء.

فلقد تم التعرف على نجوم وكواكب وأجرام على بعد مئات السنين الضوئية .. وهكذا ازدادت حيرة العلماء أمام حقيقة السموات وكثرت النظريات حولها، خاصة وأن السماء الدنيا، أى السماء المرتبطة بالأرض التى نعيش عليها قد خصها القرآن الكريم بإشارات لم يستقر العلم الحديث على ثوابت علمية بشأنها، فما بالك بالسموات غير المرتبطة بالدنيا:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾

«سورة الصافات الآية ٦»

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ﴾

«سورة فصلت الآية ١٢»

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾

«سورة الملك الآية ٥»

فالزينة فى الآية الأولى تمثلها الكواكب، والزينة فى الآية الثانية تمثلها المصابيح وأُضيف إليها كونها حفظًا، ثم فى الآية الثالثة أضيف إلى المصابيح مهمة أخرى غير الزينة وهى كونها رجوماً للشياطين.

ولا شك أن الاجتهادات العلمية حول هذه الأمور غير مستقرة ومن المؤكد أن ما تكرر فى نصوص آيات القرآن على لفظ السموات والبالغ ١٩٠ مرة بصيغة الجمع، وما تكرر بلفظ السماء ١٢٠ مرة بصيغة المفرد، يطرح أمام مائدة البحث العلمى ضرورة هامة هى:

أن المستقبل يوجب على علماء الطبيعة مزيداً من البحث والتأمل والتدبر، فلعل الله يفتح عليهم من كنوز المعارف ما ينفع البشرية.

## وعن الأرضين :

فقد جاءت لفظة الأرض وتكررت ٤٥١ مرة، ولم تأت مرة واحدة بصيغة الجمع إطلاقاً ، وإذا وقَفْتَ على الأرض التى نحيا عليها ونظرت إلى أعلى فسوف ترى الشمس والقمر والنجوم والسماء أو السموات.

وإذا وَقَفْتَ على القمر أو على أية كواكب أخرى وكانت بمثابة أرض الدنيا وتطلعت إلى أعلى فسوف تجد أيضاً سموات، فالأرض التى ينظر منها المرء لأعلى واحدة دائماً، أما السماء فهى دائماً مليئة بالأجرام الكثيرة.. إذن فهى سموات.

حتى أن القرآن الكريم نص على أن للجنة أرضاً يرثها الذين اتقوا ربهم.

فيقول (تعالى) :

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

«سورة الزمر الآيات ٧٤ - ٧٥»

وأيضاً يقول (تعالى) :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

«سورة إبراهيم الآية ٤٨»

ومع أن القرآن لم ينص صراحة على أن الأرض سبع كالسموات إلاً فى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

«سورة الطلاق الآية ١٢»

فالرسول ﴿ﷺ﴾ رد على سؤال أبى ذر الغفارى عندما سأله عن الكرسى، فقال صلوات الله وسلامه عليه:

**« والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكُرْسى إلاَّ كَحلَقَة مُلْقَاة بأرض فلاة ، وَإنَّ فَضْل الْعَرْش عَلى الْكُرْسَى كَفَضْلِ الفلاة عَلى تِلْك الْحَلَقَة »**

وهذا الحديث الشريف الصحيح يؤكد أن السموات سبع ، وكذلك الأرض سبع.

وعلوم الفلك تؤيد ذلك وبقدر ما أتيح للعلماء حتى عصرنا هذا من أدلة علمية، فهذه العلوم وإن لم تستطعْ أن تتخيل مدى اتساع هذا الكون الفسيح إلاَّ أنها استنتجت أن المجموعة الشمسية التى نعيش فيها ما هى إلاَّ مجموعة واحدة من ملايين المجموعات الشمسية.

واتساع هذا الكون الذى يحتوى على هذه المجموعات اتساع هائل، والدليل على ذلك أن النجوم التى تبدو قريبة من بعضها فى سماء الكون، بينها مسافات شاسعة، وبالرغم من ذلك فإنها تعتبر ملليمتراتٍ قليلةً فى قياس المسافات الكونية اللانهائية.

والأعظم من ذلك أن المجموعة الشمسية بكواكبها وأقمارها ومذنباتها جزء من المجرة.

والمجرة تضم أكثر من مليار مجموعة شمسية ، وطولُها مائةُ ألفِ سنةٍ ضوئية، وعرضُها ستون ألفَ سنةٍ ضوئية.

ومجموعتنا الشمسية على بُعد عشرةِ آلاف سنةٍ ضوئية من الحافَّة وعشرين ألفَ سنةٍ ضوئية من المركز ، وهذه المجرات فى ازدياد مستمر وليست فى نقصان وهى تنطلق متباعدة عن بعضها لتتسع مع اتساع المساحات التى بينها، إلى نهاية لا يعلمها إلا من خلق الكون وباعد بين أجزائه، والدليل القرآنى على ذلك الاتساع هو فى قول الحق (تعالى) :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

« سورة الذاريات الآية ٤٧ »

والخالق العظيم يقول مضيفاً إلى ان إمكانية وجود ما هو أوسع من هذا للكون رهنُ مشيئته وقدرته.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

« سورة الأحقاف آية ٣٣ »

فهو قادر على أن يخلق سموات وأرضين أكثر ويدل على ذلك هذا الاتساع الهائل الذى يمكن أن يضم ما يخلقه الله مما يشاء.

ثم إن رب العزة جعل بين السموات والأرض مسافات وليست هذه المسافات فراغاً أو عبثًا أو فضاء أو هباء بلا فائدة أو شيئاً مهملاً.

والقرآن يشير إلى ما بين السماء والأرض بوصفه وجوداً حقيقياً لا فراغاً ولا فضاء لأنه ملىء بالغبار الكونى وبالشهب والنيازك والأشعة الكونية والأغلفة الجوية وأشعة الضوء والحرارة ، ويقول (تعالى) :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

«سورة المائدة من الآية ١٧»

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

«سورة المائدة من الآية ١٨»

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

«سورة الزخرف من الآية ٨٥»

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾

«سورة ص الآية ٦٦»

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾

«سورة النبأ الآية ٣٧»

ومن المعروف أن كافة الأجرام السماوية والأرض تلتزم بالقوانين المنظمة التى قدرها الخالق الأعظم ، والتى لا تتبدل أو تتغير بتغير المكان والزمان، مثل قوانين الحركة والجاذبية ، وتخضع السماء والأرض لتقدير العزيز الحكيم ، ويقول فى هذا رب العزة:

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

«سورة فصلت الآية١١»

وجعل الله تعالى لكل شىء سبباً ، وقال فى محكم آياته:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾

«سورة الكهف الآيتان ٨٤ -٨٥»

## التقدم العلمى فى عصر ذى القرنين :

ويعنى هذا أن الله منح (ذا القرنين ) الكثيرَ من العلم بالأسباب تلك الأسبابِ التى استعان بها فى بلوغ أهدافه، أى أن اكتشاف الأسباب لايتحقق أبداً إلاَّ بطرق أبواب العلم والبحث والدراسة للوصول إلى النظريات وكشفِ القوانين التى تحكم الظواهر الكونية، والعلم بالأسباب المدبِّرة والمنظمةِ للكون.

وهكذا فعل ذو القرنين، وتميز عهده بالنهضة القائمة على العلم، ويعنى هذا أن العلم له قَفَزات وله انتكاسات وَرِدّة، وأن التقدم العلمى لحقبة من الزمن يعنى الوصول إلى مرحلة متقدمة من التقدم العقلى المؤدى إلى الوصول إلى تقدم علمى يكتشف ويصل إلى مرحلة العلم بالأسباب المسيطرة والمتحكمة فى الكونيات.

وأما مراحل التخلف فإنها تمثل مرحلةَ ردّةٍ أو نكسة علمية تؤدى إلى اندثار معالم النهضة العلمية التى تصبح أثراً بعد عين، وذلك لغفلة الأجيال أو لضعف إدراكهم أو فقدانهم أسبابَ تقدمهم فيتقاعسون عن الحفاظ على مواريثهم العلمية ، أو قد يختلط العلم بالخرافات أو البدع فيختل توازنهم العقلى ، وتدور عجلة الزمن إلى الخف بفعل ذلك الخلل.

وهكذا تخضع الظواهر العلمية للمتغيرات التابعةِ لمراحل المد والجزر الفكرى للبشر ، ومدى صحة المسار ومقوماته، وهذا يفسر لنا مراحل التقدم العلمى للفراعنة وما تبعه من ردّة وانتكاسة علمية لأسباب غير معلومة جعلت هذه العصور الغابرة من التقدم أثراً بعد عين.

ويفسر لنا أيضًا مرحلةَ التقدم العلمى التى حظى بها ذو القرنين ، واختفاءَ مظاهرِ هذا التقدم وصيرورتّه فى مجاهل التاريخ.

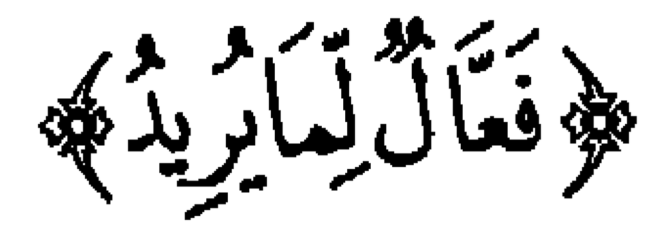
ويفسر لنا كذلك التقدمَ العلمى والحضارى للامبراطورية الإسلامية فى القرون الأولى للدعوة الإسلامية فى كافة المجالات ثم الانكسارَ الذى أصاب ورثة هذه الحضارة وتخلفَهم.

ثم يفسر لنا أخيراً التقدمَ الهائَل الذى نلحظه خلال القرنين التاسعَ عشرَ والعشرين وتنعم به أوروبا ، كل ذلك يرجع إلى أهمية العلم بالأسباب:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

«سورة البقرة الآية ١٥٥»

وما يقدره الحكيم العليم من علم يتاح للعلم بالأسباب ، وفضلا عن ذلك فإن الله على كل شىء قدير ، وهو المتحكم فى الكون ونظامه.



«سورة البروج الآية ١٦»

والله العليم القدير هو الواضع المدبر لمنظومة الكون وفق أصول علمية ثابته راسخة لا تقبل التبديل أو التغيير، وما على البشر إلاً البحث والدراسة للوصول إلى أسباب هذه المنظومة والعلم بالنظريات العلمية التى تُجلّى غموضها ، فينتفع بهذه الأسرار ويستخلص منها علمه فى سبيل التقدم والاستفادة لتبديل حركة الحياة إلى الأفضل فى حدود يقدرها العزيز الحكيم بداية بلا حدود لكى تطرق هذه الأسباب آمال الفكر البشرى دون توقف.

فمثلا العلم الحديث يقرر أن عمر الشمس المقدر لها هو ٥٠ بليون سنة بحساب سنين الكوكب الأرضى ، مضى منها أيضا، بحسابات علماء الأرض ١٥ بليون سنة ، ومن هنا فإنه من المنتظر علميا أن تظل الشمس كما هى فى حالة اتزان بين ما يتولد داخلها من طاقات بالالتحام النَّوَوِىٌ وما يُفقد من سطحها من طاقات إشعاعية إلى الفضاد الكونى ٣٥ بليون سنة أخرى ، يظل خلالها النظام الشمسىّ قائما. ويقول العزيز القدير فى هذا:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

«سورة يس الآية ٤٠»

إلا أن هذا النظام الشمسى، ينتهى أمره عندما يشاء العليم القدير مثلا بانفجار الشمس أو تمددها فجأة بسبب اختلال فى توازن الطاقات فيها وعندها تملأ الفضاء الكونى الممتد ما بين الأرض والقمر.

وهكذا فإن العلوم المعاصرة تفسر ذلك، ولا تتعدى هذه المعارف ، ولكن القرآن ما فرط من شىء فإن فيه مدلولات لم يكتشفها العلم الحديث وهى مخزون لبحث ودراسة علماء المستقبل حول الأسباب التى يمكن بواسطتها علميا أن تتغير الشمس وتدرك القمر وينتهى أمر المجموعة الشمسية:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾

«سورة القيامة الآيات ٧-٩»

ولقد شاهد الأقدمون منذ نحو ٣٥٠ سنة مضت نجما شبيهاً بالشمس انفجر ليلا وملأ الفضاء الكونى من حوله ولم يكن هناك تفسير لهذه الظاهرة إلاَّ فى عصرنا الحالى، وهكذا تتوافر المعطيات العلمية بتقدير العليم الخبير.

وتشدنا إلى معارف المجموعة الشمسية، تلك الأسراب التى نراها ليلا وتظهر على هيئة ومضات من الضوء تمتد فى خطوط طويلة عبر السماء وفى أعالى الجو الأرضى، ويطلق عليها أحيانا النجوم الهاوية، وتتكون من جسيمات بيضاء ينبعث منها ضوء أبيض بسبب الحرارة العالية المتولدة منها عند اختراق الغلاف الأرضى والغلاف الجوى، وهذا الخط الضوئى الأبيض ناتج عن نوع من أنواع أفراد المجموعة الشمسية التى تسبح من حول الشمس وتسمى «الشهب»، وتفسير العلم لهذا الخط الأبيض الذى يتخلف وراء الشهاب المنقض بفعل جزئياته الساخنة إضافة إلى الغازات المنبعثة تحت وطأة درجات الحرارة العالية.

ويدخل جو الأرض كل يوم فى المتوسط ٢٠ مليون شهاب تقريبا لا نرى الكثير منها بالعين المجردة، وتهبط أتربة هذه الشهب بعد اختراقها مجال الأرض متساقطة عليها ، وتكون هذه الأتربة نوًى لتكاثف بخار الماء حولها وتحوله إلى قطرات أو نقط من الماء أو بللورات من الثلج فى مناطق إثارة ونشاط السحب.

ولهذا يلاحظ أن الأمطار تهطلُ بغزارة فى السنين التى يدخل فيها جو الأرض الوفيرُ من أسراب الشهب.

وهذه الأتربة المتساقطة عن الشهب تسبب زيادة فى كتلة الأرض بمعدل نحو ٤٠٠٠ رطل كل ٢٤ ساعة ويجىءُ ذكر الشهب فى كتاب الله فى قوله (تعالى) :

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

«سورة الجن الآية ٨»

وإذا كان علمنا الحديث قد أعطى بعض المدلولات العلمية عن الشهب إلاَّ أن تفسير الآية الكريمة السابقة يعنى أكثر كثيراً من كل ما جادت به أفكار العلماء عن هذه الظاهرة، وهى بلا شك رمزية علمية لها مدلولات مستقبلية.

ويقول العلماء: إن سرعة الشهب المتوسطة تصل إلى ٢٦ ميلا فى الثانية ، ومن المعروف أن الأرض تجرى فى فلكها بسرعة ١٨,٥ ميلا فى الثانية، ولهذا فإن سرعة اصطدام الشهب بالأرض تساوى:

إما ٢٦ + ١٨,٥ = ٤٤,٥ ميلا فى الثانية.

أو ٢٦ - ١٨,٥ = ٧,٥ أميال فى الثانية.

وأنسب الأوقات لمراقبة الشهب ورصدها هو النصف الثانى من الليل حيث يبلغ ما قد يُشَاهَدْ ضعف ما قد يمكن مشاهدته فى النصف الأول من الليل وذلك لأن الراصد يكون فى النصف الثانى من الليل فى مشاهدة النصف الأمامى من الأرض وهى سابحة حول الشمس مما يمكن من رؤية الشهب بوضوح.

وقد يلاحظ الراصد أن الشهب كأنما تُقْبِل من منطقة معينة فى السماء تسمى علميا باسم (منطقة التألق)، وهذه المنطقة هى جزء من مجرى الشهب العام فى الفضاء الكونى الذى يعرف فلكيا باسم «الكويكبة» ومن

المحتمل أن يكون هذا المجرى بقيةَ حطامٍ مذنَّبٍ قديم أي أن الشهب لم تكن متوفرة فى القدم، وهذا ما يؤكده قوله (سبحانه) :

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

«سورة الجن الآية ٨»

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

«سورة الجن الآية٩»

وهذا يضع احتمالاً مؤكدا أن الشهب لم تكن ظاهرة قديمة لأن الجن كانوا قبل ذلك أو قديماً يسترقون السمع من السماء فلم يكن هناك ما يطاردهم ، أما مع البعثة المحمدية ونزول القرآن فقد تحولت الظواهر الكونية من مجرد مذنّب إلى بقايا مذنّبٍ أو أكثر تتساقط خلال المجرى العام فى شكل شهب.

## ومــاذا عن النيـازك ... ؟

هى فى رؤيا العين حجارة تتساقط من السماء كيف ذلك ..؟

والعلم يقول إنه عندما ينفذ شهاب كبير الحجم من جو الأرض ويسقط على سطحها يسمى نيزكا.

والنيزك هو صخور سماوية كبيرة الحجم تقع على سطح الأرض بفعل الجاذبية، إلاً أن رحمة الله جعلت معظمها تتفت فى أعالى جو الأرض، ولا يصل منها إلاً ما هو تراب .

وفى القاهرة وفى عام ١٩٣٨ تقريبا تفتت نيزك جبار فى الجو وحجبت أتربته ضوء الشمس فى وضح النهار، وفى هذا يقول ربُّ العزة:

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

**«سورة الحج من الآية ٦٥»**

ومن الواضح أن مفهوم ومعنى السماء فى هذا الصدد تعنى كل ما فوقنا، وأظلنا ، وارتفع فوق رؤوسنا مثل أجرام السماء.

ومعروف عن آثار النيازك الكثير:

فهناك نيزك «بالأريزونا» بأمريكا وفجوته عرضها ٤٢٨٠ قدما وعمقها ٦٠٠ قدم ويقال إنه نيزك قديم جدا.

وهناك نيزك «تشيب» فى كويبك فوهته ٦٤٢٠ قدما.

وهناك نيزك «سيبيريا» الذى سقط على الأرض عام ١٩٠١ قتل ١٥٠٠ شخص وأسقط الأشجار وحطمها فى مساحة بلغت ١٠٠ ميل مربع.

والعلم الحديث لا يعرف حتى الآن مصدر النيازك تماما. إلا أن هناك بعض الاجتهادات العلمية التى ترى أن فى السماء حجارة ربما كان مصدرها الفراغ الكبير الممتد بين مسار المريخ ومسار المشترى الذى قد يسبح فيه كوكب موغل فى القدم، وأن هذا الكوكب قد تهشم وتفتت إلى حزام ويسمى «حزام النجيمات» ويمتلئ هذا الحزام ببقايا هذا الكوكب ومن هذا الحزام تتساقط كتل الأحجار التى تسمى « النيازك» إلى الأرض عندما يتصادف ويقطع مسار حزام النجيمات مسار الأرض، فتتصادم مع ذلك الحزام وتتساقط بعض الأحجار.

وتختلف النيازك اختلافاً كبيرا من حيث الكمُ والكيف ، ولهذا تقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية تبعا لما تحتوى عليه من مواد:

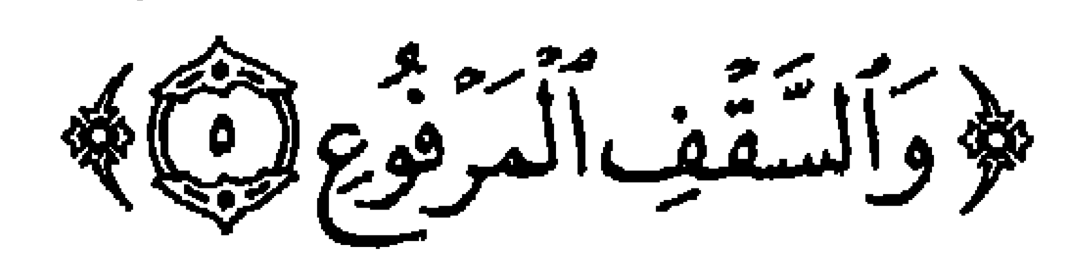
فهناك نيازك الحديد والتى تسمى علميا« سيديرتش» أو حديد سماوى.

وهناك النيزك الحجرى وهو «الأبروليت » أو الحجر الهوائى.

وهناك النيزك الذى يتكون من خليط الحديد والحجر فهو «سيدوليت» أو حجر وحديد سماوى .

وتشترك معظم أحجار النيازك فيما تم التعرف عليه فى مكوناتها من مواد كالحديد والأكسجين والسليكا والماغنسيوم والنيكل والكبريت والكالسيوم، والألمونيوم ، إلاَّ أن بقية المكونات لم تكتشف بعد مع الاختلاف فى تكويناتها المتنوعة.

ويُقْسم الخالق عز وجل بسقف الأرض فيقول جل جلالة:



«سورة الطور الآية ٥»

ويذكر الخلق ويأمرهم بالبحث العلمى لآياته والاَّ يُعرضوا عن دراسة معطيات إعجازه، فيقول عز من قائل:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

«سورة الأنبياء الآية ٣٢»

والسماء فى اللغة : اسم لكل ما علانا وارتفع فوقنا، ولفظ السماء يعنى هذا الكون بأسره الذى نراه من حولنا بدءاً بغلاف الأرض الجوى بطبقاته المختلفة، والفضاء الكونى وما يسبح فيه من أجرام مثل القمر والكواكب السيارة والنجوم والشموس والمجرات .

ويقول العزيز آمرا بالنظر والتعلم والتدبر وقراءة علوم الكون حول السماوات والأرض.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾

«سورة يونس من الآية ١٠١»

وفى السماوات تقع النجوم والمجرات والسدم على مواقع مختلفة فمواقع النجوم يختلف بعدها عنَّا بدرجات تفوق حدود حساباتنا وتصورنا.

ويقسم العزيز بمواقع النجوم لعظم وأهمية مواقعها، وعظم هذا الأمر بالنسبة للكون وللإنسان الذى يعمر الأرض:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

«سورة الواقعة الآيتان ٧٥-٧٦»

والعلم المعاصر أكد لنا أن هناك مجرات ونجوماً تبعد عنا بلايين السنين الضوئية، وأن أقرب المجرات لنا تبعد بمقدار ٥٧٠ الف سنة ضوئية.

وإذا اقتربنا أكثر لدراسة ومراقبة ارتفاع القبة الزرقاء فوق رؤوسنا، والتى لا تبعد عن ٢٠٠ كيلو متراً فقط، وعندما يصعد رجال الفضاء بمركباتهم يرون هذه القبة الزرقاء من تحتهم بعد ارتفاع ٢٠٠ كيلو متراً ، بينما يرون الفضاء الكونى على حقيقته حالك الظلام ورغم وجود الشمس فيه، ويزداد عدد النجوم بسبب ظهور النجوم الخافته التى يحول الغلاف الجوى دون رؤيتها من فوق سطح الأرض.

وتخزُ أشعة الشمس الأجسام وخْزَ الإبر حتى يخيل إلى الإنسان الذى صعد إلى الفضاء لأول وهلة أنه قد أصيب بمرض أو أصابه مسٌ من السحر ويقول المعجز العظيم :

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

«سورة الحجر الآيتان ١٤- ١٥»

ومعطيات العلوم اكدت أن غلاف الأرض الجوى يصل ويمتد إلى أرتفاع ١٠٠٠ كيلو متـرا ، وتقل كثافة الغازات التى يتكون منها هذا الغلاف كلما ارتفعنا بعيداً عن السطح، حتى أنه على ارتفاع ١٠ كيلو متـرا لا تكفى مقادير الأوكسجين الموجود فى الهواء للتنفس ويشعر الإنسان كأنما قد ضاق صدره حتى يتم اختناقه بزيادة الارتفاع.

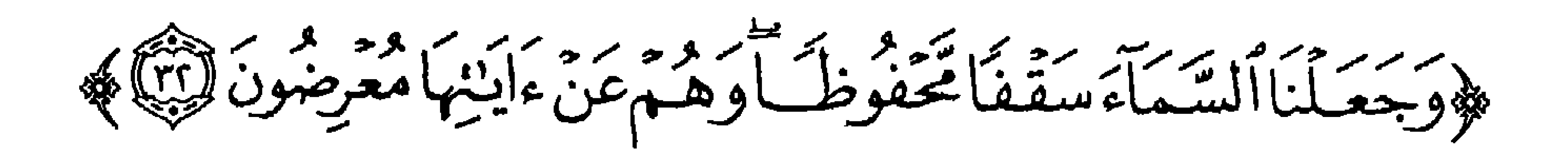
وسقف الأرض يتكون من غاز الآزوت الذى يمثل $\frac{٤}{٥}$ حجم الهواء ثم غاز الأوكسجين الذى يمثل $\frac{١}{٥}$ حجم الهواء الباقى بالإضافة إلى بعض الغازات النادرة كغاز الكريتون والهيليوم وبخار الماء.

وهذا السقف العجيب ليس صلبا كما نعرف.

ومن عظمة القادر أنه جعل هذا السقف من هذه الغازات ولو جمعتَ ما فى الأرض جميعا من مهندسين ومهرة وعلماء ليصمموا سقفا تتوافر فيه مواصفات ومزايا ومهام سقف القدرة التى جعلها الله سقفا للأرض لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

فهذا السقف محمول مرفوع بفعل قوة اندفاع غازاته إلى الفضاء الكونى الذى يعلوها ، وذلك من خلال خاصية الغازات التى تنطلق إلى الفراغ .. وهكذا يتم رفع سقف الأرض من غير عمد ترونها وهو سقف محفوظ لأن الأرض تمسكه وتقبض عليه بقبضة جاذبيتها .

ويتعادل قوة اندفاع الغازات إلى الفضاء الكونى مع قوة جذب الأرض لها يتم توازن البناء والرفع للسماء الدنيا كما جاء فى الآية الكريمة:




«سورة الأنبياء الآية ٣٢»

والسماء الدنيا تتكون من طبقات تختلف تماما من حيث :

توزيعُ درجات الحرارة فيها وطبيعةُ وكميةُ عنصر الأوكسجين .

ولكل طبقة نوافذ تسمح بمرور ضوء الشمس وأشعتها الحرارية وتحول دون مرور أغلب الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس بنسبة ٩٪ من الإشعاع الكلى، ويتركب سقف الأرض من الآتى:

الطبقة الأولى السطحية السفلى وتسمى «التروبوسفير»:

وفيها تحدث كافة الظواهر المرئية كالسحب ونزول المطر، والأعاصير، ويتواجد بها الأوكسجين الجزيئى المعروف علميا بألف ٢ وتتناقص درجات الحرارة بالارتفاع بمعدل ٦ درجات لكل كيلو متر ارتفاع.

## التراتوسفير:

وفى هذه الطبقة يتكاثر الأوزون، ويمتص غازُ الأوزون جزءا كبيراً من الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس ، ويحولها إلى طاقة حرارية ترفع من درجة الحرارة لهذه الطبقة.

## الأيونوسفير:

وهى طبقة يوجد بها الأوكسجين متأينا أى ذريًا أحاديًا على حد التعبير العلمى، وهذه الطبقة تمتص بدورها جانبا من الأشعة فوق البنفسجية أيضا، وتكون الطبقات المتأينة التى تعكس أو ترد أمواج اللاسلكى المنبعثة من الأرض ، فتجعل الاتصال اللاسلكى بين أجزاء الأرض أمراً سهلا.

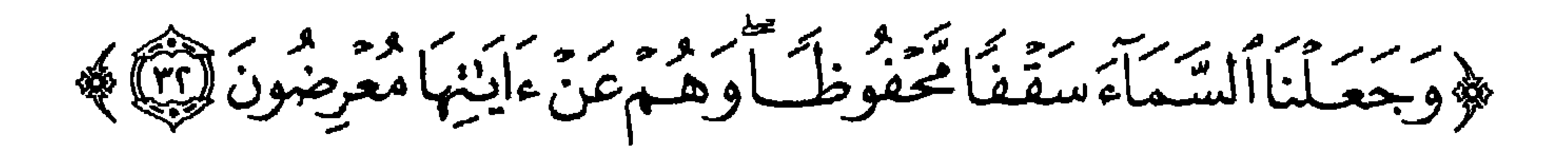
وعلى العكس فلا يحدث ذلك على القمر لأنه لا يوجد غلاف هوائى.

## الإكسوسفير:

وهى الطبقة الخارجة التى تنتهى من أعلاها على ارتفاع الف كيلو متراً بالفضاء الكنى، وتبدأ هذه الطبقة بجزء سفلى هو «الثيرموسفير» التى ترتفع درجة حرارتها بقدر كبير.

ولو أن سقف الأرض كان صلباً لانعدم وصول أشعة الشمس لأن الأرض ستكون شيئا مغلقاً لا تنفذ منه الأشعة ، ولا نرى منه الشمس أو القمر أو النجوم . وعليه فلا تسقط الأمطار ولا تهب الرياح .. وهكذا تنعدم الحياة على الأرض وتتحول مياه البحار والمحيطات إلى جليد دائم .

فسرُ الحياة على الأرض وبقائها يافعة مخصبة هو محصلة ذلك الغلاف الجوى بطبقاته المتعددة الفوائد والتى تسمح بنفاذ أشعة الشمس وضوئها وحراراتها إلى الأرض التى هى سر الحياة :




«سورة الأنبياء الآية ٣٢»

فإذا تدبرنا هذه الآيات ولم نعرض عن التحليل والدراسة، والوصول إلى أهمية طبقات سقف الأرض لوجدنا أن هناك نِعَمًا تؤديها هذه الطبقات لخلق الله فى كونه فما هى ...؟

١ - إن طبقات سقف الأرض تحتوى على الأوكسچين اللازم للحياة حيث يدخل إلى الرئتين فيجدد نقاء الدم ويكسبه الأوكسچين الذى يولد الطاقة التى تمكن الجسم من العمل والحركة.

وأيضا شأن ذلك فى الكائنات البحرية من خلال الأوكسچين المذاب فى مياة البحار والمحيطات.

٢ - ثم إن العلى القدير قد نظم بحكمته كمية الأوكسچين فى الطبقة الملامسة للأرض، وحددها بالخمس فقط، بينما الباقى من الهواء يحتوى على الآوزوت وثانى أكسيد الكربون، وبخار الماء.

والحكمة فى ذلك غاية فى الأهمية فلو أنه قدر لهذا الغلاف أن يكون مائة فى المائة أوكسچين فقط لما استطاع البشر إطفاء أى حريق يشب على الأرض.

٣. ثم أن سقف الأرض يحتوى على غاز ثانى أكسيد الكربون الذى يخرج من الكائنات نتيجة الاحتراق المولد للطاقة، وجاء الدور القدرى الثانى لملكة النبات التى تأخذ هذا الغاز وتستخلص منه عنصر الكربون وتحوله إلى خشب وسكر وزيوت نباتية ونشا، وذلك بفعل وقدرة البلاستيدات الخضراء التى فى الأوراق، وتخرج لنا الأوكسچين اللازم للحياة ودور الكلوروفيل علميا معروف فى ذلك ويسمى أيضا هذا الكلوروفيل «باليخضور» أو «الخضر» .

ويقول العزيز الحكيم :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾

«سورة الأنعام الآية ٩٩»

٤. وايضا يحتوى سقف الأرض على بخار الماء الذى تسير به الرياح الصاعدة التى تلتقى فى الأجواء بنوى التكاثف تلك النوى القادمة من تساقط الشهب والتى تمثل جسيمات دقيقة تكون بللورات أو قطرات يتكاثف حولها بخار الماء فتسقط الأمطار.

ويقول فى هذا الخبير العليم :

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

«سورة الحجر الآية ٢٢»

٥- وإضافة لكل ذلك فإن ضوء النهار يحدث فى طبقة الجو الأولى التى لا تزيد على ارتفاع ٢٠٠ كيلو متراً عن سطح الأرض ويحدث هذا الضوء فى هذه الطبقة الرقيقة نتيجة الانسلاخ فى جسم الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض عند دورانها حول محورها أمام الشمس.

ويقول العزيز الحكيم :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

«سورة يس الآية ٣٧»

# الفصل الثانى

## العلم الإلهى وصناعة الغيث

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾

«سورة لقمان الآية ٣٤»

والغيث هو النعمة الكبرى من الله (سبحانه) لخلقه فهو مصدر الحياة لأن من الماء كلَّ شىء حى. وسقوط المطر يعنى بعث الحياة على الأرض لأنه بالماء يحيا الخلق جميعا إنسانا كان أم حيوانا وينبت الزرع الذى هو مصدر الغذاء للخلق والمخلوقات .

ولكى ينزل الغيث فلابد من توافر كميات هائلة من البخار وقطراته على ارتفاع معين من سطح الأرض، كما أنه لابد وأن تتحرك هذه القطرات المائية إلى أسفل فى اتجاه سطح الأرض. كما لابد وأن تتوافر قدرة هائلة تحكم نزول هذا الغيث وهذه القدرة لا يمتلكها بشر أيًا كان ولكنها قدرة القادر المتمثلة فى أمرين.

(أ) قدرة العزيز القادر على خلق الأشياء من العدم.

(ب) قدرة القوى القاهر على إيداع الخواص والصفات التى لا تحيد عنها الأشياء.

وتُعطينا العلوم ضرورات ولوازم لإسقاط المطر ولا يمكن لمخلوق أن يحقق هذه الضرورات مهما كان لأنها صناعة الخالق وموجدِ الوجود .

وضرورات إسقاط المطر تتمثل فى قدرة الخلق والوجود على النحو التالى:

أولا: خلق أسطح مائية هائلة المساحة وفق معادلة قدرية دقيقة وهكذا خلق الله الأرض وجعل أكثر من ثلثى مساحة سطحها انهارا ومحيطات وبحارا.

وحيث تبلغ مساحة الأسطح المائية نحو ثلاثمائة واثنين وستين مليوناً من الكيلو مترات المربعة.

بينما تمثل مساحة اليابسة أقل من نصف هذه المساحة.

ثانياً: إيجاد مصدر حرارى فائق القدرة لتسخين هذه المساحات المائية وحتى يمكن تبخير كميات مناسبة من البخار وهكذا خلق الله الشمس وسخرها لتمدنا بالحرارة اليومية المناسبة والقادرة على إحداث هذا البخر.

وتلك الحرارة التى تقدر بخمسة آلاف بليون سُعر حرارى .

وتلك الحرارة تعادل ما ينتج عن تفجير مائة مليون قنبلة ذرية فى اليوم الواحد.

ثالثاً: خَلقُ قانون للضغط الجوى قادر على إحداث الحركة بين الكتل الهوائية على هيئة رياح مختلفة بحيث تبعد الطبقات الجوية بعد تشبعها ببخار الماء عن الأسطح المائية ليحل بدلا منها هواءٌ جاف يستطيع أن يتشبع من البخار المتصاعد وهكذا ، ولكى يحدث هذا فلابد من حركة للكتل الهوائية وهذا التحرك يستلزم توافر ضغط جوى مرتفع فى مناطق ومناطق أخرى بها ضغط جوى منخفض.

ولكى يتحقق ذلك لابد وألا يكون التسخين منتظماً ويعنى ذلك عدم انتظام التسخين على سطح الكرة الأرضية بدرجة دقيقة بما يُوجد اختلافاً مقدراً بدقة تفوق كل تصور.

وإلا فإن مناطق من سطح الكرة سوف تختنق من قلة الضغط وأخرى سوف تتدمر حضارتها بفعل قوة الضغط الزائدة.

وهكذا جعل الخالق (سبحانه) محور دوران الأرض مائلا على مستوى دوران الأرض حول الشمس.

وجعل الأرض تغير من موقعها بالنسبة للشمس فى كل لحظة بحيث تتحرك نحو درجة واحدة فى كل يوم.

بالإضافة إلى دوران الأرض حول محورها بما يحقق توزيع الحرارة على مساحات مختلفة من مسطحها .

وحتى يكون هناك اختلاف دقيق ومحسوب فى درجة الحرارة يؤدى إلى تحرك محسوب للهواء وما يحمله من سحاب يساق إلى حيث يشاء الله من أماكن قد تبعد مئات أو آلاف الكيلو مترات عن المصدر المائى الذى تكون منه.

وصدق الله تعالى فى قوله :

﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾

«سورة فاطر من الآية ٩»

رابعاً: خلق وتهيئة اللواقح أو النويات السابحة فى جو الأرض والتى تنشأ بعلم الله من جزيئات خاصة قد تكون من أملاح البخار أو بعض المركبات الناتجة عن لفاعل الأكسجين الجوى مع النتروجين فى وجود الأشعة الشمسية ، أو من ذرات الشهب الهاوية.

كما تنشأ هذه النويات بالإضافة إلى ذلك من عمليات الاحتراق المختلفة على سطح الرض.

وهذه النويات لها خاصية تتمثل فى القدرة على اجتذاب جزئيات الماء القريبة منها وحملها على التماسك فى صورة قطرات مائية .

وبعد مراحل الخلق والوجود السابقة يأتى دور إلهى يتمثل فى دور النواميس الإلهية الثابتة وهى قدرة الخالق على إيداع خواص وصفات فى الأشياء لا تحيد عنها ولا تختل وهذه النواميس هى :

## ناموس فروق الكثافة :

وهى الأسباب القدرية التى من شأنها أن يرتفع بخار الماء فى الجو إلى أعلى، فجعل وزن أىُ حجم من بخار الماء الجاف أقلُ من وزن الحجم المساوى له من الهواء الجاف، ولذا يرتفع بخار الماء الخفيف نسبياً إلى أعلى طبقات الجو، ولو شاء ربك لجعل بخار الماء أثقل من الهواء ولما وجدنا سحاباً يسبح فى جو الأرض على الإطلاق.

## ناموس الجاذبية :

لقد قدر الله هذه السببية بين الأجسام بحيث يتجاذب أى جسمين بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة التى تفصل بين مركزيهما ، وتعمل هذه القوة على محاولة إسقاط قطرات الماء الصغيرة على الأرض، إلا أن تيارات الهواء الصاعدة غالباً ما تصدها وتعرقل عملية السقوط ، وحتى يزداد وزن قطرات الماء لدرجة تستطيع بها التغلب على قوة الطفو فتسقط الأمطار.

وهذه نعمة من نعم الله إذ لو سمح للقطرات الصغيرة بالسقوط فور تكونها لتحولت مرة أخرى إلى بخار قبل أن تصل إلى سطح الأرض وحيث يكون الهواء قرب سطح الأرض أسخن منه فى الطبقات العليا مما يساعد على تبخر القطرات الصغيرة، ولكن بقاء القطرات فى الجو يساعد على نموها حتى تصل إلى الحد الكافى لنزول الغيث.

وفى هذا يقول المولى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

«سورة الأعراف الآية ٥٧»

وهكذا نجد عناية الخالق وعظمة قدرته التى خلقت الأسباب.

فهو الذى ينزل الغيث بقدرته التى خلقت الماء والأرض بمساحاتها المقدرة وخلقت الشمس مصدراً للحرارة اللازمة للبخر، والحياة، وخلقت الهواء وحركته بحساب دقيق وخلقت نويات ولواقع التكاثف بأعدادها الهائلة فى جو الأرض،.

كما تعاظمت حكمته فى إيجاد مكنون الأسرار فى الأشعة التى تقوم بمهمة بخر الماء، وفى نويات التكاثف التى تحمل البخار على التكاثف والتماسك ثم أسرار تجاذب الأجسام وفى ناموس ثابت قويم.

وهكذا تعاظمت القدرة والحكمة الإلهية.

ولنا هنا وقفة مع العلم الحديث والمحاولات العالمية لإسقاط وصناعة المطر الصناعى ، ولنتأمل معاً ما تطالعنا به معاهد ومراكز الدراسات عن نجاح تجارب إسقاط المطر صناعياً ومحاولة وعكوف العلماء على إنجاح هذه المحاولات، ومع الاهتمام الشديد بهذه التجارب فى هذا المجال فليس فى ذلك غرابة أو تطاول على قدرة الله وعظمته ، فالخالق خلق كل شىء وأحسن تدبيره إلا أنه أوجد الأسباب وأمر عباده أن يجتهدوا فى البحث عن الأسباب والاستفادة منها فى إعمار الأرض وإخصاب قدراتهم العقلية.

وواقع الأمـر أن الإنسـان لا يخـلق مطراً ولا يسـقطه، بل يتـدخل بعلمـه للاسـتـفـادة بما وهبـه الله له من عـقل يفكـر ويتـدبر فى الأسـبـاب وهكذا يسـتـفـيـد من خـواص بخـار الماء الذى يـتكاثف حـول نويات صـغـيـرة ليكون قطرات ماء.

ويعمد العلماء فى سبيل إنجاح أهدافهم العلمية إلى استخدام الطائرات لرش السحاب ببعض بللورات من الثلج المجروش، أو ذرات من ملح الطعام أو مـواد مـن شـأنهـا أن تكون بمثـابة نويات، يتكاثـف عليـهـا بخـار الماء الجوى ليكون قطرات من الماء وإذا قـدر لهـذه القطرات أن تبلغ حـجـماً كـبـيـراً فإنهـا تسقط بفعل الجاذبية الأرضية.

ويكون هذا السـقـوط على هيئـة رذاذ أحـيـاناً ، ومطرٍ فى أحـيـان أخـرى والأمـر بهـذه الصـورة لا يزيد عن كـونه مـشـابهـاً لنثـر بعض بذور مـحـصـول معـين على أرض مناسـبـة ثم انتظار مشـيئـة الله لينبت الزرع .. فكيف لنا أن نقول مطرَ صناعى أو إسقاطُ مطر أو غيرُ ذلك من التعابير الشائعة.

إنها عناية الله التى خلقـت العقل والأسباب الا إنه اللهُ الخـالق وما لمخلوق أن يحاكيه جلً وعلا ..

# دور الحـيـاة على الأرض

من المسلّم به أن الذين يتفكرون ويبحثون فى أسرار خلق السموات السبع والأرضين السبع ويتوصلون إلى حقائق علمية لإسعاد البشر هم فى الحقيقة يؤدون فرض زكاة العقل الذى ميزهم به الله عن سائر الخلق ويكتشفون النظريات والمفاهيم العلمية التى تسهل على الخلق إعمار هذ الكون وتسخيره لعباد الله.

وجهودهم العلمية سوف تؤكد أن كل شىء لم يخلق عبثاً أو باطلا ، وآن كل ما هو فى هذا الكون له موقعه فى هذه المنظومة الإلهية.

والقرآن تحدث عن الأرض والحياة عليها بوضوح فقال (تعالى) :

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾

«سورة فصلت آية ١٠»

فلقد أوجد القادر على الأرض الرواسى وهى الجبال فى مفهومنا العلمى حتى الآن وربما يكتشف الفكر العلمى أشياء أخرى تكون بمثابة الرواسى ، وأيضاً قدر فى الأرض أرزاق العباد وأقوات الخلق وبارك فيها الله وأودع فيها مقومات الوجود.

فالأكسجين وثانى أكسيد الكربون وجدا حيث إن الأكسجين أساس حياة الإنسان، وجعل ثانى أكسيد الكربون هو المضاد للأكسجين وهو الذى يقوم عليه حياة النبات.

فالازدواجية ركن رئيسى فى مباركة الله للأرض.

إلا أن الله هو الذى انفرد بالوحدانية دون سواه.

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ».

الإنسان ذكر وأنثى والحيوان كذلك والعالمين ذكر وأنثى حتى الذرات واللواقح التى تسقط المطر أو يتكاثف حولها بخار الماء ذكر وأنثى.

وهناك الألكترون الموجب والنيوترون السالب.

وهناك الطلع والمتاع فى النبات.

كل شىء مزدوج ومبارك فيه ليستقيم الوجود.

وإذا كان الغلاف الجوى بغازاته هو عنصر من عناصر الوجود فيوجد أيضاً الغلاف المائى واليابس.

وهذه هى معطَيات العلم حتى عصرنا وقد يجود العلم بأشياء أخرى ولكننا نجد دورة الحياة فى هذا الكون يمثلها قوله (تعالى) :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

«سورة الروم الآيات من ٤٨-٥٠»

وقوله عز وجل:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

«سورة النور الآية ٤٣»

فحكمة الله شاءت وإرادته قَدَّرت أن تكون الحياة على الأرض مُرتكزة على النبات الذى يعيش عليه الإنسان والحيوان وأساس وجود النبات يرتكز على وجود غاز ثانى أكسيد الكربون وهو ضد الأكسجين فالتضاد والازدواجية نوع من الثنائية التى يقوم عليها الكون.

حيث يخرج غاز ثانى أكسيد الكربون من الإنسان بالزفير، ويمتصه النبات شائعاً ثم يعود إلى الجو أكسجينا، وهكذا تدور دورة الحياة، وكذلك أيضاً قصة المطر فهو من السحاب، حيث حملته الرياح بخاراً من المحيطات، فأنزله الله حيث شاء فشربه الإنسان والحيوان، واهتزت به الأرض ثم عاد دورته الأولى إلى البحار العظيمة، وعادت عملية التبخير ثانية وهكذا تقدير العزيز العليم فى الأزل ولم ينقص من ملكه شىء، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأيضاً استطاع العلم أن يُعطينا تحليلا لطبقات الجو على الأرض، حيث تحتوى على غازات كثيرة أكثرها الأزوت يليها الأكسجين ثم الأرجون والكريتون والأيدروجين والأكستون والهليوم وبخار الماء وثانى أكسيد الكربون والأوزون وتمثل هذه الغازات الغلاف الجوى الذى لا يعلو عن ألف كيلو متر .

والنظريات العلمية أكدت أن الكثافة النوعية للهواء تقل كلما ازددنا ارتفاعاً ، وأيضاً كلما ازددنا ارتفاعاً يضيق صدر الإنسان وينبثق الدم من الأنف والفم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

«الأنعام من الآية ١٢٥»

والغلاف الجوى هو توليفة هذه المجموعة من الغازات التى ليس لها طعم ولا رائحة وتعرف عموماً بالهواء.

هذا هو إطار الحياة على كوكب الأرض ودورة الحياة فيه قائمة على الدورة الهوائية التى هى أساس حياة الإنسان.

وإذا توافرت مثل هذ الدورة على أى كوكب آخر فلا مانع عقلا من وجود حياة على هذا الكوكب والقرآن الكريم يقول فى هذا :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾

«سورة الملك من الآية ٣»

ويقول:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

«سورة فصلت آية ٥٣»

ويعنى هذا أن الله يُرى الإنسانَ ويكشف له الحقائق عياناً بعد أن يُرِيَها له قولا وذلك لتشترك أكثر من حاسة فيحدث التفاعل والتأثير.

ويشير لنا القرآن عن ضرورة البحث فى إيحاءة إلهية عظيمة حيث يقول سبحانه :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

«سورة الحاقة آية ٣٨-٣٩»

وها تثور بعض التساؤلات التى تحتاج إلى بحث ودراسة علمية عن إمكانية وجود سكان فى الكواكب الأخرى العليا البعيدة.

وهل هؤلاء السكان مكلَّفون مثلنا ..؟

وهل هم من جنس التراب ..؟

وهل حملوا الأمانة التى حملها الإنسان..؟

أم هم من أجناس أخرى أثيرية ...؟

إن مقدمة الإجابة على هذه التساؤلات تدور حول مدلول الآية الكريمة التالية:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ ﴾

«سورة الشورى الآية ٢٩»

# الفصل الثالث

## العلـم واطمئنان القلـوب

كان خليل الرحمن إبراهيمُ نبيا وبرغم النبوة وثقته الكبرى فى عظمة الله إلا أنه طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى وذلك لم يكن إلا ليطمئن قلبه.

فما معنى اطمئنان القلوب ....؟

إن اطمئنان القلب لا يتحقق إلا باليقين فى صحة ما يطمئن إليه علماً من خلال المشاهدة بالبحث أو الدراسة والتحقيق.

وسيدنا إبراهيم قبل بعثه كان منذ طفولته باحثا عن الإله فى زمن كانت عبادة الأوثان وغيرها هى ملء القلوب والأسماع والأبصار.

ولكن لم يجد إبراهيم فى هذه الأوثان التى لا تضر ولا تنفع إلا الضلال والضياع ... ولم يجد فى قلبه وفى فؤاده ما يجعله يطمئن إلى ألوهية الأحجار أو الأخشاب أو التماثيل الحجرية التى يركع ويسجد لها قومه وأهله .

لهذا بحث بحثا فطريا فى كينونة الكون الذى يحيطه.

بحث فى ألوهية الشمس التى تغذى الكون بالدفء والنور إلا أنها عند الغروب غابت، وفطرة إبراهيم تري أن الرب لا يغيب .

بحث فى ربوبية القمر لكنه يختفى والله لا يختفى عن خلقه فهو دائم الإطلال والوجود.

بحث فى النجوم والكواكب والقوى العظيمة فى زمانه إلا أنه لم يجد ما يحقق له اطمئنان القلب ويوفر له العلم اليقينى الذى يروى ظمأ الفطرة.

وحتى هداه فِكْرُهُ المنزّه عن الهوى لإلهه الواحد الذى يَخْلُقُ ولا يُخْلَقْ .

وإن كان العلم اليقينى مرحلةً من مراحل الاطمئنان لأنه وصول إلى دقة الاستنتاج دون شك أو ظن .

فإن حق اليقين هى المرحلة المؤكدة على أن هذا الاستنتاج مطلق ولا شيء ينازعه أو يهدم أركان نتائجه.

لهذا طلب إبراهيم أن يرى القدرة الإلهية فى صورة إحياء القادر للموتى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

«سورة البقرة الآية ٢٦٠»

إن اطمئنان قلوب الأجيال لا يتحقق بالزهد فى البحث العلمى أو الدعوات السلبية التى لا يباركها الإسلام، ذلك الدين القيم الذى لا يعرف التخلف أو الجمود يقول (تعالى) :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

«سورة الصف الآية ٩»

فالإسلام يفتح كل المجالات للبحث فيها لتحقيق العلم المحمود الذى يوفر للإنسان مقومات الحياة الكريمة .

ولكنه يرفض كل الاتجاهات المتفلسفة التى تذهب بالإنسان إلى الضلال.

ومن أمثال هذه الاتجاهات غير المحمودة:

# البحث فى القضاء والقدر

وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يتصببُ عرقا إذا رأى القوم يتناقشون فى ذلك.

ولقد أضلت الأبحاث فى هذا الشأن كثيراً من الناس ، ومثلها تلك الأبحاث الغيبية والتى يطلقون عليها « الميتا فيزيقية» والتى أثمرت كثيراً من الشكوك والريبة والفرقة بين مجتمع أراده الله وحدة متكاملة .

وحققت مثل هذه البحوث والفلسفات الشيع والأحزاب بين الناس فيما ليس يخصهم أو يعنيهم فماذا يفيدهم البحث فى كينونة الله وصفاته ..؟

وماذا يفيدهم الجدل الطويل فيما لا يعرفون.

وفيما لن يعرفوا ...؟

إن هذا لن يحقق شيئاً من العلم اليقينى الذى يُطَمْئِنُ القلوب ولكنه ينفث السموم ويزرع الشك والظنون ..

إن العلم اليقينى - أسلوباً ومنهجاً ودراسة وبحثاً - تعبر عنه هذه الكلمات المعجزة:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾

«سورة فاطر الآيتان ٢٧-٢٨»

إنها كلمات ربانية تدعو الخلق إلى دراسة الكون وهو كتاب الله العملى ليقتنع المؤمن ويطمئن قلبه بمطابقته لكتابه القولى «القرآن» والحقائق الكونية التى لن تنتهى .

فما يُقْنع ويُطَمئن قلوبنا من معطَيَات القرآن مثلا حول الكلمات المعجزة مثل جُدَدٌ بيض وحمر وأيضا وغرابيب سود .. وغيرها، سوف يطمئن قلوب الأجيال المقبلة أيضا وحتى يرث اللهُ الأرض وما عليها.

ودليلنا فى هذا قوله (تعالى) :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

«سورة فصلت الآية: ٥٣»

ويشهد بذلك علماء الكونيات والباحثون فى أسرار هذا الكون فيقول العالم «نيوتن»:

إن ما لدينا من علم لا يمثل إلاَّ حصاة على شاطئ المعرفة.

وهناك علماء كونيون قد سُحِروا بإعجاز هذا الكون وأحبوا خالق هذا الكون دون أن يعرفوه، لأنهم ليسوا بمسلمين، ولقد أخذ علماء الغرب منذ الثلاثينيات المبادرة منا بعد أن قطعوا مراحل عدة فى دراسة الكون .

وإذا كنا نفخر بما كان للعلماء العرب قديما من بحوث كونية من أمثال ابن سينا، والخوارزمى، والفارابى، وابن باسكال بجانب أبحاثهم الفلسفية الأخرى.

إلا أن التقهقر الذى أصاب علماء الإسلام جعل العلم ينتقل إلى أوروبا وإلى عقول أولئك الذين أخذوا منهج الإسلام فى البحث اليقينى.

وإذا كان هذا قد حقق لهم السبق العلمى ..

إلا أن ما يُسَرِّى عن النفس أن مكتَشَفاتهم تزيد من اطمئنان القلوب؛ لأن ما يتوصلون إليه هو مزيد من العطاء الذى يؤكد الإعجاز العلمى للقرآن الكريم.

لقد توصلوا إلى افتراض أن الأثير عالماً غازياً يدخل جميع جزيئات هذا الكون، ويملأ فراغه.

ومثلما استطاعوا بهذا الغرض إرسال إشارات لاسلكية عبر المحيطات والقارات على الأرض، أمكنهم أيضا إرسال إشارات مماثلة عبر الكواكب وأيضا أمكنهم اختراع علم جديد أسموه علم الفلك الراديوى Radio Astronomy ذلك العلم الذى يعنى التقاط الإشارات الكهرو مغناطيسية وذلك بواسطة شبكات من هوائيات استقبال الإشارات الكونية التى تستقبل الذبذبات الكهرومغناطيسية المنبعثة من الكواكب الأخرى فلكل كوكب مجالة وهزاته وهذه الهزات تحدث أصواتا جذابة وكأنها فرقة موسيقية تعزف لحن الكون السرمدى أو تعزف لحن الوحدانية لله الواحد القهار.

ويقول (تعالى) :

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

«سورة الحديد من الآية ٤»

واستواء الخالق المبدع على العرش يسمح لنا بحرية التعبير حسب قدراتنا البشرية ويمكننا أن نقول إنه استواء للخالق على العرش الذى هو قمة الشىء المخلوق وهو السموات والأرض.

وما دام العرش فوق هذا الشىء فبديهى أنه ليس هناك فراغ بين الكواكب بعضها ببعض ولا بين السموات ولا بين الأرضين، الاتساع مشغول مملوء مرتب منظم ويصح ما يقوله علماء هذا العصر بأن الاتساع مشغول بوسط

«اثيرى» كما يسمونه وسوف يقول علماء المستقبل الكثير ففى عالمنا المكشوف كثير من المخبوء عنا ولقد أشار القرآن الكريم ووجّه النظر إلى ذلك فيقول ربى الأعلى:

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ﴾

«سورة النمل الآية ٢٥»

فهذا الكون يتسع اتساعا هائلا، ويكتشف العلم مخبوءات كانت فى ظلال المجهول فأصبحت تحت ضوء المعلوم.

ويثبت العلم تباعد المسافات بين الكواكب وأمهاتها المجرات وجداتها السدم الكونية أو ما يسمونها تسمية أخرى بالبقع السوداء الكونية التى كانت رتقا ففتقتها الإرادة الإلهية عندما شاء الله خلق السموات والأرض، ويقول رب العزة:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

«سورة الأنبياء من الآية ٣٠»

إن حوار العلم الدائب والدائم وكذلك مُعطيات العلم المتجددة مع تعاقب الأزمان وتطابقها مع الرمزيات الإلهية فى القرآن تزيد من اطمئنان القلوب، لأنها تؤكد أنه فوق كل ذى علم عليم، عالِمُ الظاهر والباطن، وعالِمُ الخبء والمكنون القادرُ المهيمنُ.

# الباب الثالث

**الفصل الأول:**

- الإعجاز العلمى وخلق الإنسان.

**الفصل الثانى:**

- الفكر العلمى وأذى المحيض.
- الإعجاز العلمى والخمر وخمر الجنة.

**الفصل الثالث:**

- طفولة الإنسان وإعجاز القرآن.
- السمع فى إعجاز القرآن.
- بيت العنكبوت.
- العلم يجيب عما يحدث ولا يجيب عن... لماذا ؟

**الفصل الرابع:**

- ودعوة إلى التنقيب فى مناجم القرآن.

# الفصل الأول

## الإعجاز العلمي وخلق الإنسان

نتذكر أول دراسة علمية وصلت حول خلق الإنسان كانت فى بداية القرن الخامس قبل الميلاد حيث قام أبو الطب الإغريقى «أبوقراط» وتبعه «ارسطو» بفحص أجنة الدجاج وبعض الحيوانات واستنتجوا أن خلق الأجنة له علاقة بسائل الرجل ولم يعرفوا دور المرأة فى ذلك.

وعند قراءة الآية ٢٠ من سورة العنكبوت :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

«من الآية ٢٠»

يجب علينا أن نقف وقفة تأملٍ وتدبُّر تجاه خلق الإنسان كنموذج من نماذج القدرة الإلهية على الخلق ولتتضح معالم الصورة لعلماء اليوم والغد.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

«سورة يس الآيتان ٧٨-٧٩»

ومن خلال هذه الصورة تبدأ منظومة خلق الإنسان فى صورة هبة من الله حيث يهب ما يخلق لمن يشاء.

ولننظـر إلى خلق الإنسـان والقـدرة الفـائقـة على حـفظه فى رحم أمـه والعناية به وتغذيته ثم الحماية الإلهيّة لفترة الطفولة.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾

«سورة الشورى آية ٤٩».

هنا يؤكد العلماء نقطتين حول (يهب) وحول تقديم الإناث على الذكور فى هذه الآية الكريمة دون سائر آيات القرآن والتى يسبق ذِكرُ الذكور على الإناث.

لأن هذه الآية فى موضع الملكية لله للسموات والأرض وملكية ما يخلق وملكية ما يهب.

ولهذا فإن القادر المالك يهب من ملكه لمن يشاء أنثى أو ذكراً وهذه الهبة تعنى أن الحق يريد أن يؤكد أن ما يرزق به أحدكم من البنات أو البنين هو منحة له من الله سبحانه وعلى ذلك يجب أن تعامل هذه الهدية معاملة تتناسب مع من أهداها وهو الله جل جلاله.

وتأتى النقطة الثانية والمتعلقة بتقديم الإناث على الذكور فى هذه الآية فهو تقديمٌ مردُّه إلى المنظومات الإلهية فى تخصيص سمات خلقه والتى نطلق عليها حقائق أو مكتشفات علمية ونقول إن البحوث العلمية اكتشفت أن تقديم الإناث على الذكور يرجع باليقين إلى حكمة متعلقة بنوع الجنين ذكرا كان أم أنثى والعلم يقول إن هذا يتوقف على الصبغات الجنسية أى الكروموسومات التى تحدد الجنس ، وهذا هو سر تقديم الإناث على الذكور فى هذه الآية فقط.

فقد وجد الباحثون أن الصبغيين الجنسيين فى الأنثى متجانسان (X X) فى حين أنهما مختلفان فى الذكر(X Y) .

فهذا بمثابة تنبيه للعقول للبحث فى أسباب التقديم والتأخير للوصول إلى حقائق كانت مخبوءة.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله يهب لمن يشاء ذكورا أو إناثا فهو الخالق المقدر لمن يحيا فى هذه الحياة الدنيا.

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) ﴾

«سورة النجم الايات ٤٥-٤٧»

ويضع الله الحكيم لبنة الأسرة فى خصوصية كل زوج وكل زوجة ويحدد قدَريَّة الإنجاب ويحدد قدَريَّة من يصيبه العقم.

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾

«سورة الشورى الآية ٥٠»

وهكذا توحد الخلية بإذن الله.

فكيف ذلك ...؟

يتزوج الرجل بزوجته وفى إطار من المشروعية التى قدرها الله لتزكية النفس الإنسانية يقول (تعالى) :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾

«سورة النور الآية ٣٠ - ٣١»

ومن هذا الدستور الذى يحفظ على الرجل والمرأة طهارتهما التى أودعها الله أمانة فى كل منهما يتزوج الرجل بأمراته وعندما يَتغشَّاها فإنه يتم الإمناء، والسائل الذى يقذفه الرجل فى المرأة يسمى السائل المنوى ومعنى كلمة تُمْنى اى تُقْذف ، والقذف يكون من الرجل ولا يكون من المرأة ويقول (جل وعلا) :

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾

«سورة النجم الآيات ٤٥-٤٧»

ولا يمكننا ان نسأل فى كيفية الخلق ...؟

ولكننا نستطيع أن نسترشد بفكر علماء الأجنة.

فمنهم نستطيع أن نتزود بيقينية علمية تزيدُ اطمئنان القلوب من إعجاز القرآن الكريم.

فماذا يقولون ...؟

إن بويضة المرأة تحمل صبغيين (كروموسومين) متشابهين قبل الانقسام (X X) وأن جنس الجنين ذكراً كان أم أنثى يتوقف على نوع الحيوان المنوى الذى يُخْصب البويضة.

والحيوانات المنوية التى يقذفها الرجل (المنى) تحمل صفة (Y) وهى صفة الذكورة وصفة (X) وهى صفة الأنوثة ومع أن ما يمنيه الرجل فى المرأة آلاف من الحيوانات إلا أن اقوى وأسرع حيوان منوى هو الذى يستطيع أن يغزو البويضة ويعطيها صفته الجنسية.

فإذا كان هذا الحيوان يحمل صفة (X) الأنوثة فإن الجنين سيكون بإذن الله أنثى وإذا كان هذا الحيوان يحمل صفة (Y) أى صفة الذكورة فإن الجنين سيكون ذكرا.

فماذا بعد أن امتزج الحيوان المنوى بصفاته مع البويضة ..؟

من هنا بدأ الإعجاز العلمى فى القرآن .

حيث قال أصدق القائلين.

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾

«سورة الزمر من الآية ٦»

ومراحل تخليق الإنسان تبلورت فى القرن الخامس عشر حيث قام الفنان العالمى ليوناردو دافنشى برسم جنين داخل رحم أمه. تغطيه اغشية ثلاثة أو أغلفة ظلمات ثلاث هى جدار البطن وجدار الرحم وجدار الأغشية المحيطة بالجنين «المشيمة».

ويقول تعالى عن مراحل التخليق

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

«سورة المؤمنين الآيات ١٢-١٤»

وإذا كان التعبير العلمى حتى يومنا هذا يرى أن هذه الآية تنص على أن الله خلقنا من نطفة ثم تحولت النطفة إلى علقة وتحولت العلقة إلى ما يشبه الشئ الممضوغ «مضغة» ثم تتخذ هذه المضغة شكلا آخر «شكل العظام» ثم تغطى باللحم وفى هذه الحالة يأخذ الجنين شكله الآدمى بظهور العظام واللحم.

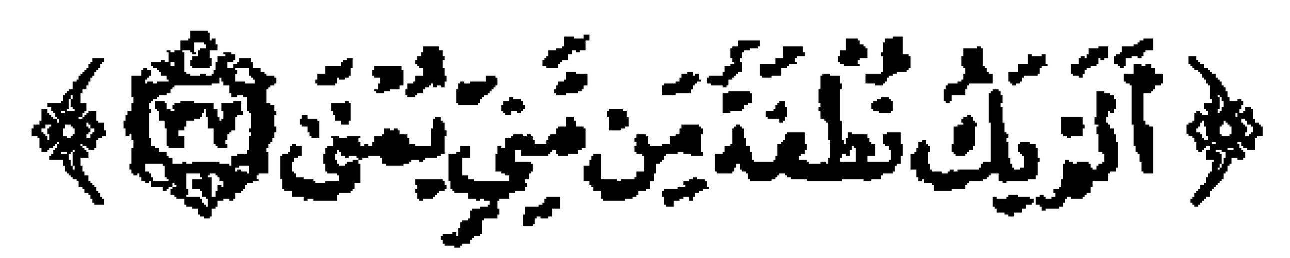
ومرحلة العلقة تكون فيها مرحلة الجنين أشبه بالعلقة التى تتعلق فى أجسام الحيوانات لامتصاص الدماء وفى هذه المرحلة يتعلق الجنين بجدار «الكوريون» لامتصاص الدماء ويكون فى هذه الحالة محاطا بالماء.

أما مرحلة المضغة فيكون فيها الجنين أشبه بقطعة ممضوغة من اللبان مقسمة إلى انتفاخات واختناقات وأخاديد وهى التى تكون الكتل البدنية التى ستكون عظام السلسلة الفقارية.

أما الانتفاخات والأخاديد والاختناقات فهى التى سيتشكل على أساسها باقى الملامح لشكل المخلوق.

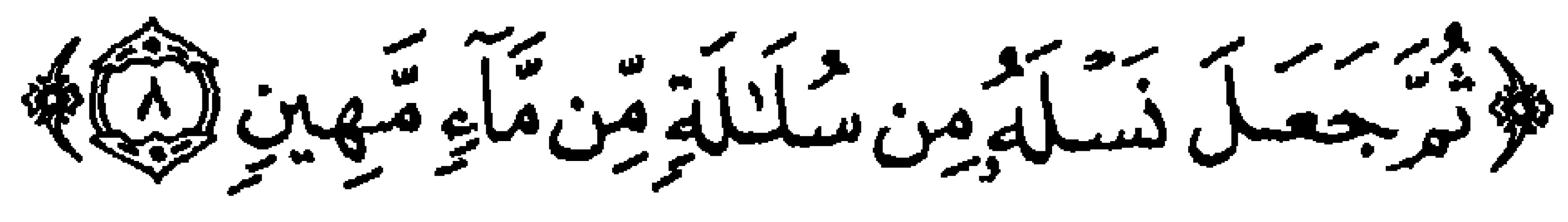
ثم يتبع هذه المرحلة مرحلة كساء العظام باللحم ويتبع هذه المرحلة مرحلة «الحميل» وهى تتميز بالنمو السريع ويظهر فيها شعر الرأس .

ويذكر القرآن الكريم فى وصف بليغ فى سورة القيامة:



«سورة القيامة الآية ٣٧»

وقال (تعالى)



«سورة السجدة الآية ٨ »

وقد ورد فى الأثر : « مَا مِنْ كُلِّ المَاءِ يَكُونُ الوَلَدُ ».

وزيادة فى الإيضاح نجد أن العلم يؤكد أن الإنسان يخلق بادئ ذى بدء من أخلاط إفرازات الذكر وأخلاط إفرازات المرأة أى تتكون الحيوانات المنوية بالملايين فى الخصيتين ثم تخرج إلى مجرى البول وتقذف عند الجماع وينجح واحد فقط من هذه الملايين فى تلقيح بويضة الأنثى وتهلك الملايين المتبقية.

وهذا الحيوان الوحيد المحظوظ هو النطفة وما حولها من إفرازات الرجل التى يسبح فيها هذا الحيوان وتكون بمثابة المناخ الأمثل لبقاء هذ الحيوان متميزا ومتفوقا على الملايين الأخرى التى تهلك بدورها.

ويقول القرآن فى هذا المقام:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) ﴾

«سورة الإنسان الآية:٢»

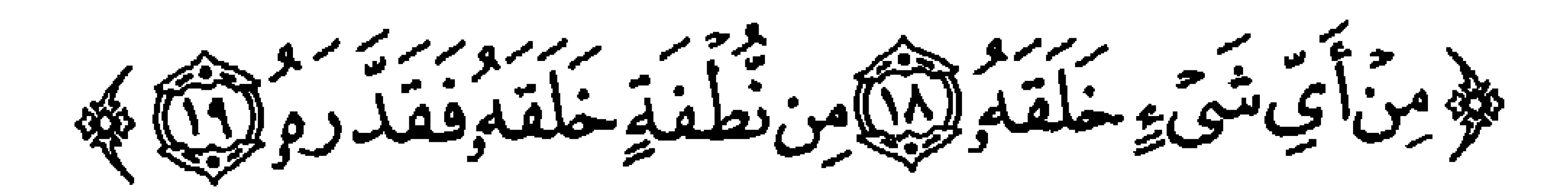
ويقول المفسرون إن الأمشاج تعنى «أخلاط» أى أن الإنسان يخلق من النطفة التى تحظى بالمشج أى الاختلاط والدخول إلى بويضة المرأة.

وفى المقام الآخر فإن المرأة لها مبيضان ويُنتج المبيضان البويضات ويفرز بويضة من آحدهما مرة كل شهر وتخرج البويضة من المبيض ومعها السائل الذى كان يحيط بها داخل المبيض وتدخل البويضة إلى قناة الرحم حيث تختلط البويضة بماء الرجل والحيوانات المنوية التى أودعت فى المهبل عند الجماع ثم تتجه إفرازات الرجل داخل الرحم إلى القنوات حيث تحيط الحيوانات بالبويضة.

وتؤدى انقباضات القناة وانبساطها إلى خلط البويضة مع الحيوانات، ويساعد تركيب القناة ذات التعرجات الكثيرة على هذا الاختلاط ، ومما لا شك فيه أن اختيار الحيوان المنوى المحظوظ هو رهن مشيئة الله.

حيث أودع فيه الصفات والمشيئة الإلهية بكل ما تعنيه .

قال تعالى:




«عبس الأيتان: ١٨-١٩»

اى أن رب العزة قدّر مستقبل وصفات وملامح هذا المخلوق. وهذه الآيات المعجزة والتى نزلت على محمد ﴿ﷺ﴾ النبى الأمى هى وعاء للعلم والمعرفة الشاملة، وما يأتى به العلم المعاصر متبلور فى معنى «نطفة» و«أمشاج» و«علقة».

وما سوف يأتى به علم الأجيال المقبلة سوف ينبع ويصب أيضا فى بحر هذه المعانى.

ومن معطيَات العلم المعاصر ما يشير إلى أن كلا من البويضة والحيوان المنوى يحتوى على أجسام متناهية فى الصغر تسمى الصبغيات أو الكروموسومات .

والنطفة تتكون من اتحاد نَوَاتَىْ البويضة والحيوان المنوى ، وهنا تكون الخلية الإنسانية قد اكتملت .

وعلى أثر هذا الاندماج والأمشاج والاختلاط يكون قد تم وضع المخطط الوراثى والصفات المستقبلية للجنين وتكون العناية القدرية قد قدرت كل شىء .

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ﴾

«عبس الأيتان: ١٨-١٩»

وبعد تكوُّن النطفة تسبح والسائل المحيط بها إلى داخل القناة الرحِمِية حيث تنتقل إلى الرحم ، وأثناء تحركها داخلَ القناة تنقسم إلى خلايا أصغر فأصغر حتى تصل إلى خلية ذاتِ ستٍّ عشرةَ خلية وتشبه حبة التوت بعد ثلاثة أيام من التلقيح حيث تطفو داخل الرحم وتمتص السوائل وتتحول إلى شكل بذرة متحوصلة بعد أربعة أيام من التلقيح وحيث تستقر فى الرحم.

**وهنا تكون المعجزة الإلهية :** حيث تلتصق البذرة المتحوصلة وبقدرة القادر تستطيع أن تفرز المادة السحرية التى تستطيع بها أن تذيب جدار الرحم فى موقع تلامسها وتخلق لنفسها اتصالا وثيقا بجسم الرحم وحيث تستطيع أن تتصل بالشرايين والأوردة الدموية ولتصبح جزءا حيا كاملا متصلا ومرتبطا بالأم غذاء وإحساساً.

والعجيب المثير للدهشة أن هذه الخلايا تذيب من الأنسجة فقط ما يلزم لتمكين البويضة من جدار الرحم، ولا تستمر فى هذه الإذابة حتى لا تثقب الرحم فسبحان صاحب القدرة.

وفى الأسبوع الثانى يصل نمو الجنين إلى مرحلة فى الشكل تشبه العلقة وهو وصف لهذه المرحلة حتى التى يستطيل فيها القرص الجنينى ويتجه لنمو الرأس «الدماغ» بسرعة وتكون الدورة الدموية فيه، وبداية نبض القلب فى هذه المرحلة وتشابه شكل الجنين بالشىء المعلق والسابح فى الماء.

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾

«سورة المؤمنون من الآية : ١٤»

ويقر القرآن مرحلة أخرى بعد العلقة وهى صورة الجنين الذى يأخذ شكل «المضغة» وتصور أنك مضغت قطعة من اللبان وأخرجتها من فمك فسوف تجد آثار الأسنان والضروس فى شكل انتفاخات وأخاديد واختناقات.

والجنين فى الفترة من الأسبوع الرابع إلى الأسبوع السادس يكون فى صورة هذه القطعة المضوغة من اللبان ويتكون من أجزاء متميزة ، وأخرى لم تتميز بعد فيتميز الدماغ جزئيا وكذلك القلب، بينما تكون الأجزاء الأخرى فى حالة التبرعم ولم تتضح فى صورتها النهائية.

ويقول رب العزة:

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾

«سورة الحج من الآية ٥»

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾

«سورة المؤمنون من الآية ١٤»

ويقدر القادر الحكيم الذى لا يعجزه شىء فى السماء أو فى الأرض أن تتكون العظام من جزء من المضغة وأن العضلات تكسوها. وبداية تتكون غضاريف فى الأسبوع الخامس، وهذه الغضاريف هى التى تصبح عظاما ومع بداية الأسبوع السابع تعطى العظام شكلا للجسم ويسمى هذا الطور طور التمعظم.

وتأتى السنة المشرفة التى جاءت على لسان نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ منذ أربعةَ عشرَ قرنا لتسبق البحوث العلمية التى أكدت أن المضغة تتكون فيها العظام مع بداية الأسبوع السابع.

وهنا يقول ﴿ﷺ﴾ :

«إن الله يرسل الملك إلى النطفة بعد اثنين وأربعين يوما ليعطيها ملامحها ويخلق فيها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها، وعظامها: ويسأل الملك الله أذكر أم أنثى ...؟»

وهكذا تمت عملية الخلق الأولى يتبعها عمليات أخرى فى منظومة الخلق الإلهية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾

«سورة الانفطار الآيات ٦-٨»

إذن هناك مرحلتان أخريان بعد أن تمت مرحلة الخلق وهما .

- سوّاك.

- فعدلك .

وبعد أن تتم مراحل الخلق والتسوية والتعديل تأتى مرحلة أخرى هى التخليق أو ما قد تسمى «التعَضّوُن» أى تكوين الأعضاء والأجهزة.

فكيف ذلك ..؟

بعد أن التصقت البويضة المخصبة بجدار الرحم.

فإن هذه الخلية المخَصَبَة تنقسم إلى خليتين تنقسمان إلى أربعة والأربعة إلى ثمانية والثمانية تنقسم إلى ست عشرة خلية، والخلايا الستة عشرة تنقسم إلى اثنين وثلاثين خلية.

وهنا تأتى مرحلة التسوية بعد الخلق.

فبعد أن تم تكوين العدد اثنين وثلاثين خلية ترتِّب الخلايا نفسها، كُل خلية فى وضعها بحيث تكون المجموعة نصفين متساويين.

وفى هذين النصفين المتساويين تتساوى خلايا الأعضاء المزدوجة كاليدين والرجلين والأذنين والعينين ، وتتساوى فى كل نصف أيضا أنصاف الأعضاء المفردة كالفم واللسان والأنف والقلب .

وغيرُ ذلك يؤدى إلى حدوث تشوهات خلقية.

وإن كان هذا ما يعبر عنه العلم إلا أنه ليس نهائيا على الإطلاق فالتسوية فى علم الرحمن أوسع مما نبلغ من العلم.

وعن مرحلة التعديل «فعدلك».

فيقول العلم الذى وصلنا إليه أن مرحلة ما بعد التسوية تكون فى مرحلة العناية الإلهية بالخلايا المنقسمة وتكوينها ومحتوياتها من البروتوبلازم المغذى لأنوية الخلايا ومدى تعادل البروتوبلازم مع حاجات الانقسام اللامتناهى للخلايا والتى تنتهى عند إرادة العلى القدير

وقوله تعالى:

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾

«سورة الانفطار آية ٨»

وفى مرحلة ما بعد التعديل يكون التركيب القدرى للأعضاء والأجهزة المختلفة للجسم وتُسَمى هذه المرحلة مرحلة التعضون، وهى التركيبة الإلهية المميزة لسمة وهيئة وشكل وصفة وخصائص المخلوق الموهوبة من الله عز وجل .

وهى القوالب التى يخصُّ بها ربُّ العزة كلَّ مخلوق وما تميزه عن غيره من الخلق .

# الفصل الثاني

## الفكر العلمى وأذى المحيض

قال (تعالى) :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

«سورة البقرة الآية ٢٢٢»

تسقط البويضة من المبيضُ وتسبح فى الرحم والعليم المُعْجِز أعطى صورة أخرى من العظمة الفائقة لقدرته ...؟

فمع سقوط البويضة يقذف الغشاء المبطن للرحم بأكمله أثناء الحيض دماً ، وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعاً من الغشاء المبطن للرحم.

وأيضاً فإن الرحم فى هذه الفترة يكون متقرحا نتيجة لذلك ويكون تماما كالجلد المسلوخ.

ومن هنا فإنه يكون عرضة لعدوان البكتريا بسهولة فضلا عن أن وجود الدم يُمثِّل البيئة الخصبة لنمو وازدهار الميكروبات وتكاثرها .

وفى هذه الحالة تقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازيَة نتيجة لهذا ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب أمراً حتمياً ربما يشكل خطراً داهما على الرحم.

ومما يزيد المخاطر أن مقاومة المهبل لغزو البكتريا تكون فى أدنى مستواها أثناء الحيض إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذى يقتل الميكروبات ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوىّ التفاعل .

كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها.

كما أن جدار المهبل المكون من عدة طبقات من الخلايا يرقّ أثناء الحيض ويصبح رقيقاً ومكونا من طبقة واحدة بدلا من الطبقات العديدة التى نراها فى أوقات الطهر، وخاصة فى وسط الدورة الشهرية حيث يستعد جسم الأنثى بأكمله للقاء الزوج.

لهذا فإن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل أثناء الحيض ليس إلا إدخالا للميكروبات فى وقت لا تستطيع فيه أجهزة الأنثى أن تقاوم وأن تدافع.

كما أن وجود الدم فى المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها.

ومن المعروف أن جلد القضيب يكون عليه ميكروبات عديدة إلا أن المواد المطهرة والإفرازات الحامضية للمهبل تتولى مهمة الدفاع أثناء الطهر ويضعف النظام الدفاعى أثناء الحيض.

ولا يقتصر الأذى على ما سبق ذكره من نمو للميكروبات فى الرحم والمهبل الذى كثيراً ما يُزْمِن ويصعب علاجُه ولكن يتعداه إلى مخاطر أخرى نوجزها فى الآتى:

أولاً : تمتد الالتهابات إلى قناة الرحم فتسدها أو تؤثر على متغيراتها الداخلية التى لها دور كبير فى دفع البويضة من المبيض إلى الرحم.

وذلك يؤدى إلى العقم أو الحمل خارج الرحم وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق ويكون الحمل عندئذ فى قناة الرحم الضيقة ذاتها والتى

سرعان ما ينمو بها الجنين حتى تنفجر القناة الرحمية وتسيل الدماء أنهارا إلى أقتاب البطن وإن لم تتدارك الأم الأمر فى الحال بإجراء عملية جراحية سريعة فإنها لا شك تلاقى حتفها.

ثانياً : قد يمتد الإلتهاب إلى قناة مجرى البول فالمثانة فالحالبين فالكلى وامراض الجهاز البولى خطيرة جداً ومزمنة ومؤلمة.

ثالثاً: تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض وخاصة عند بدايته وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الانفعال قليلة الاحتمال، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون فى أدنى مستوى لها أثناء الحيض لهذا فمن الخطورة الجماع أثناء الحيض.

رابعاً: تصاب بعض النساء بالصداع النصفى قرب بداية الحيض وتكن الآلام مُبرحة وتصحبها زغللة فى الرؤية وقىء.

ومما لا شك فيه أن مباشرة الزوجة فى وقت صعب كهذا أمر يزيد الصعوبة والضيق للزوجين.

خامساً : تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة وخاصة عند بداية الطمث بل إن كثيراً من النساء يكنّ عازفات تماما عن الاتصال الجنسى أثناء الحيض ويملن للعزلة والسكينة.

وهذا أمر فسيولوجى وطبيعى إذ أن فترة الحيض هى فترة نزيف دموى فى قعر الرحم (الغشاء المبطن للرحم من الداخل).

وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها فى حالة شبه مرضية ولا يؤدى الجماع فى هذه الحالة إلا إلى كثير من الأذى والنفور.

سادساً : الوطء فى الحيض لا يمكن مطلقاً أن ينتج حملا ذلك لأن خروج البويضة لا يمكن أن يتم أثناء الحيض بل يكون خروج البويضة قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريبا ،قد تقل المدة أو تزيد يوما أو يومين فقط،

ففترة التلقيح والإخصاب بعيدة كل البعد عن الحيض .

سابعاً: لا يقتصر الأذى على الحائض فى وطئها وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذى واطأها أيضا .

فإدخال القضيب إلى المهبل الملئ بالدم يؤدى إلى تكاثر الميكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل وتنمو الميكروبات السبحية والعنقودية على وجه الخصوص فى مثل هذه البيئة الدموية.

وتنتقل الميكروبات من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة والتهاب البروستاتا سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة والتى نادراً ما يصلها الدواء بكميات كافية لقتل الميكروبات المختفية فى تلافيفها.

فإذا ما أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولى التناسلى فتنتقل إلى الحالبين ومنه إلى الكلى وما أصعب التهاب الكلى المزمن إنه العذاب المستمر حتى يحين الأجل.

وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوى فالبربخ فالخصيتين وقد يسبب ذلك عقما نتيجة انسداد قناة المنىّ أو التهاب الخصيتين.

كما أن الآلام المبرحة التى يعاينها المريض تفوق ما قد ينتج عن ذلك الالتهاب من عقم .

# الإعجاز العلمى والخمر وخمر الجنة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾

**«سورة المائدة من الآية ٩٠»**

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شىء فلا يشربها ولا يبيعها ولا ينتفع بها »

**«أخرجه مسلم فى صحيحه»**

وقال الرسول ﷺ : « لُعِنت الخمرُ وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها »

**«أخرجه الإمام أحمد بن حنبل»**

وتحريم الخمر ووصفها منذ ١٤ قرنا بأنها حرام وبأنها رجس من عمل الشيطان وصف علمى عقلى واضح فالعقل البشرى عند شرب الخمر يفقد اتزانَه، والسلوكُ الإنسانى لشارب الخمر يكون مشينا ومسيئا ومهينا.

ثم إن خلايا العقل المتعلقة بالفكر والاتزان تكون فى حالة من الخمول بما يلغى آدمية الشارب ويحط من قدره ويكون فى موضع السخرية والاستهزاء فضلا عن تجنب الناس له ، حتى الأطفال بتفكيرهم المتواضع يسخرون منه ويستهزئون به.

ثم ناهيك عن كل هذا.

فهل رأيت سكيرا له هيبة ..؟

وهل رأيت سكيرا يحفظ ماله ..؟

وهل رأيت سكيرا حفظ قوته وحافظ على شكل آدميته ..؟

الله يعلم كم شاربِ خمرٍ تفككت أسرتهُ وتشرّد أطفاله وضاع شرف زوجته وهانت عليه معايير العفة والكرامة والشرف من أجل كأس خمر يدفُقُها فى جوفه لتزيد النار فى جسده وتتبخّر الأموال من جيبه.

وشارب الخمر رفيقه الشيطان فتهون عليه كل القيم والأخلاق الحميدة والفاضلة.

ويرغم ذلك فلقد وعد الرحمن عباده بخمر الجنة وما ادراك ما هى ...

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) ﴾

**«سورة الصافات الآيات: ٤٥-٤٧»**

هذه هى الخمر التى توزع على مجالس أهل دار الخلد ، خمرٌ سوف يأتينا التفسير العلمى الصحيح بحقيقتها إن شاء الله.

وكيف لا تكون بيضاء لذةٍ للشاربين ..؟

وكيف لا يكون فيها غول ...؟

وكيف لا ينزَفُون وهو يشربونها ..؟

إنها خمر من بستان القدرة فيه ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر.

وأنا لست مع من اجتهدوا فى وصف خمر جنة الخلد لأن أسرارها هناك فى عالم الخلد.

وكيف يتأتى لنا أن ندرك أسرار الخلود ونحن لا نستطيع أن نكتشف ما فى هذا الوجود الذى نعيشه ...؟

# الفصل الثالث

## طفولة الإنسان وإعجاز القرآن

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

« سورة البقرة من الآية ٢٣٣ »

خلق الله الإنسان، وصوَّره فى أحسن صورة، وفرض عليه فروضا تحفظ عليه نضجه الروحى والبدنى وبما يتوافق والهندسةَ الإلهيةَ فى إبداع العقل السوىِّ للإنسان.

ولهذا نظم وأوجب ضرورات لحماية هذا المخلوق وسلامته.

وأول هذه الضرورات مرحلة الطفولة، فالمشرع الأعظم جعل الرضاعة الطبيعية من فطرته التى فطر الناس عليها ، وحكمتُه فى هذا الشأن جليلة، ويؤكدها ما توصل إليه العلماءُ وما سوف تتوصل إليه أيضاً معطيات علوم الأجيال المقبلة.

فالرضاعة الطبيعية قد أمر بها الله لتكون حولين كاملين ، والله لا يأمر إلا بالحق والصواب ، فمن يلتزم تَعُدْ عليه نتيجة التزامه خيراً، ومن لا يلتزم فإنه يحرِم نفسه الخير الذى أعده الله له وكيف ذلك ..؟

لقد أثبت العلم الحديث أن الأم عندما ترضع طفلها فإنها تضمه إليها ، فيشعر بالدفء والحنان والطمأنينة، ويسمع دقات قلب أمه فيستشعر الراحة من نبض القلب ويستمتع بمعزوفه الحب الحانى.

وأكد العلم الحديث أهمية الأخذ بهذه النتيجة فى دَورِ الحضانةِ أو فى إرضاع الأطفال اليتامى، وذلك بتسجيل نبض وضرباتَ القلوب على شرائط تسجيل ليُسْمِعُوها للأطفال أثناء الرضاعة، فيتوافر لهم الإيحاء الذى

تشتاق إليه فطرتهم ، ويتوافر لهم الجو النفسى الذى يشعر به الطفل الذى يرضع من ثدى أمه.

وأيضا أكد العلم الحديث أن هزات القلب أو الهدهدةَ الناتجةَ عن نبض العروق تؤدى إلى نمو خلايا معينةٍ فى مخ الطفل تجعله أكثر سلامة من الناحية الصحية والنفسية.

ثم إن مرحلة ما بعد الرضاعة وهدهدةَ الطفل بيد أمه وملاعبتهُ والربت الحانى على ظهره، يجعله يتجشأ ويخرج الهواء من المعدة فيتفادى الإصابة بالغازات أو المغص الذى يؤلم جهازه الهضمى، فتتحقق الراحة البدنية التى تحقق الراحة النفسية أيضا، فضلا عن سعادة الطفل وراحته من جراء الملاطفة والمداعبة، فيتوافر له من معين الحب ما يُصْلِحُ من نموه الوجدانى والنفسى.

ولقد أكدت العلوم الحديثة أهمية الرضاعة الطبيعية من الناحية البدنية، وأصبحت الحقيقةُ العلميةُ التى لا يختلف فيها العلماء تؤكد على أنه ليس هناك غذاء يمكن أن يقوم مقام لبن الأم وفائدتهِ البدنية والنفسية للطفل، علاوة على أن طعمه ومذاقه الإلهى ودرجة حرارته توفر جوا ومناخاً من الإمتاع الذهنى للطفل.

ولقد اكتشف العلماء أن ثدى الأم يفرز فى أيامه الأولى من ولادة الطفل سائلا أبيضَ يميل إلى الصفرة لزجاً سميكاً يعرف «بالكاستروم » أى (اللبأ) أو ما يطلق عليه العامة «المسمار» وهذا المسمار يحتوى على قيمة غذائية كبيرة لا غنى عنها ولا بديل لها بأى شىء صناعى آخر.

ومهما قيل عن محتويات الرضاعة الصناعية، ومهما أضيف إليها من فيتامينات أو معادن أو غير ذلك، فإنها لا تعادل لبن الأم لأن لبن الأم ثبت علميا أنه يتناسب مع جنس المولود ونوعه وعمره وأن مكوناته تتغير وتنبسط وتتعقد حسب مراحل النضج وحاجة الجسم، .. وهكذا يتوافر الكم

والكيف حسب مراحل النمو وحيث يختص كل تغيُّر مع حاجات نمو الأجهزة المتعددة كالمخ والأعصاب والقدرات الذهنية والعضلات والجهاز الحركى وغيرها.

ومن أجل ذلك يسمى العلماء لبن الأم بالدم الأبيض لأنه يحتوى على مكونات الدم الذى يجرى فى عروق الإنسان.

ولقد أكد العلم الحديث أيضا مميزاتٍ لبن الأم عن غيره من الألبان الحيوانية أو الرضاعة غير الطبيعية ، فأياً كانت المحتويات التى تحتويها الرضاعة الصناعية ، فلن تكون ذات فائدة معادلة لفائدة لبن الأم ، إضافة إلى أن الألبان الحيوانية والمجففة تختلف عن لبن الأم فى أمور عدة منها:

١. أن اللبن الحيوانى يحتاج إلى غليٍ لتعقيمه، ومن ثم يحتاج إلى محافظة شديدة بعد ذلك حتى لا يصيبه التلوث ، أما لبن الأم فهو طازج دائما نقى أبداً شهى لا يتأثر بالعوامل اللحظية ، ثم إن خلوه من البكتريا مؤكد ومطلق.

٢. أن اللبن الحيوانى يحتاج إلى تخفيف بالماء قبل إعطائه للطفل، وكمية الماء تختلف عند تحديدها من طفل إلى طفل وهذا أمر معقد فالإقلال من الماء يجعل اللبن عسِراً فى الهضم، والزيادة تؤدى إلى الإقلال من قيمة اللبن الغذائية، أما لبن الأم فهو من صنع حكيم عليم.

٣. أن الماء الذى يضاف إلى اللبن ينبغى غَلْيُه ضمانا لخلوه من الميكروبات ثم بعده يترك ليبرد ، ودرجة الحرارة المناسبة عرضةٌ لعدم الدقة والملاءمة عكس لبن الأم المحدَّدِ بدرجة حرارة إلهية دقيقة.

٤. أن اختيار نوع اللبن سواء أكان حيوانيا أم مجففا ليتلاءم مع طبيعة التكوين العمرى لكل طفل عمليةٌ صعبة وعسيرة فما يناسب طفلا لا يكون مناسبا للآخر ولبن الأم عكس ذلك تماما .

٥. أن لبن الأم به مضادات حيوية تساعد على زيادة المناعة لدى الطفل ، ولكن من أين تأتى المضادات الحيوية فى اللبن الصناعى أو المجفف..؟

٦ . أن اللبن الحيوانى أو المجفف تختلف فيه نسبة الزلال والدهون والأملاح والمعادن عن لبن الأم الملائم تماما لحاجة الطفل الآدمى .

إضافة إلى كل ما سبق، فإن الدعوة إلى إرضاع الأبناء حولين كاملين ما هو إلا ميثاقٌ وفاقٍ يدعو إلى الحرص على خُلُقْ الأسرة ويدعو إلى دعم التراضى بين الوالدين، ويدعو إلى البحث الدائم والمتجدد لإحياء روح الأمن والطمأنينة فى الأسر المسلمة لتستقيم حالة الآباء ويهنأ الأبناء عَبْر كل الأجيال .

وهكذا أدخل القرآن وأوجب توافر المناهج العلمية والأخلاقية المحققة لسعادة الأسرة بشكل متكامل، وأمر بعدم إلحاق أى ضرر بالوالد أو الوالدة بسبب الطفل، وأكد على أن ما يصيب أحد الوالدين بالضرر ينعكس على الصغير ويؤدى إلى الإضرار به.

ولهذا أمر الله (تعالى) بالتوسعة فى النفقة على الأمهات المرضعات على قدر سعة الأب والأسرة والمجتمع:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾

«سورة البقرة من الآية ٢٣٣»

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾

«سورة الطلاق من الآية ٧»

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

«سورة الطلاق من الآية ٧»

كل ذلك أيضا ما جاء إلا لحماية الطفل فإن الأم عندما تصلها نفقتها من الأب ، فإنها تستطيع أن تتناول الغذاء الذى تحتاجه مما يجعل اللبن الذى يتناوله الطفل وافرا ومحتويا على كافة العناصر الغذائية.

أليس فى هذا المنهج القرآنى ما يُطَمئِن القلوب ويؤكد على أن شمولية القدرة الإلهية ورمزياتها فى القرآن الكريم فى شَتّى المجالات ما جاءت عفوا ولكنها تعبير لكل الأجيال عبر الأزمان منذ الرسالة الإسلامية وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، تعبير عن قدرة رب العزة فى علاه فسبحانه تنزه اسمُه وعظُمَ شأنُه ومقامه ... ؟

# السمع فى إعجاز القرآن

السمع هو أهم الحواس فى الإنسان وبه يتعلم وبه تبلغه لغة التفاهم ، فالسمع هو الحاسة الوحيدة التى ترتبط بتطور الإنسان ونمو إدراكه العقلى والفكرى وهو المدخل الوحيد للحصول على المعلومات.

ولهذا فإن الطفل إذا فقد هذه الحاسة عند ولادته نشأ أصم أبكم جاهلا قليل المعرفة والإدراك والذكاء.

وقد قيل : «أخطأ سمعا فأخطأ إجابه».

والأذن تعتبر من أدق وأعقد أجهزة الجسم بأجمعها فهى أصغرها حجما وأكثرُها تعقيداً، والأذن الداخلية تعد أعمق جزء فى جهاز السمع وحجمها لا يزيد عن نصف عُقلة الإصبع ومع ذلك تحتوى على عدد من الأجهزة الكهربائية والألكترونية فى غاية التعقيد .

ولو أراد الإنسان أن يَصنْع مثلها لاحتاج إلى معدات وأجهزة ضخمة لتؤدى ميكانيكيا وظائف الأذن فى إطار أجهزة صماء جامدة. وعلى العكس فالأذن تؤدى وظائفها من خلال خلايا حية تسمع رنين الأصوات ولكنها توصل أيضًا المعنى والمضمون والإحساس والمفاهيم والآثار والجو النفسى لهذه الأصوات.

ومعجزة الأذن الظاهرة والتى أوجدها الله أمام أعين الناس ممثلة فى الأذن الداخلية التى خلقها الله فى أصغر حجم وحفظه داخل عظام سميكة قوية، وجعلها مدفونة فى عمق الرأس من الناحيتين فى أقوى عظمة بالجمجمة.

والعلم لم يتوصل حتى الآن لأسرار الأذن.

والبداية العلمية عندما ظهر أول بحث عن طبيعة الأذن ووظائفها وأعلن «أمبيدو كليس» اليوناني سنة ٤٥٠ ق. م أن الأصوات تصل إلى الأذن على شكل ذبذبات وموجات ولكنه لا يعرف ماذا تفعل الأذن ولا كيف تسمع هذه الأصوات.

ثم توالت الدراسات والبحوث حول دقة هذا الجهاز السمعى وعظَمته.

ولم يجرؤ الأطباء على الاقتراب منه بالعمليات الجراحية فترة طويلة ويؤكد ذلك أن كتب الطب القديمة خَلَتْ من وصف أى عملية جراحية فى الأذن أو ما حولها.

إلا أنه فى القرن الثامنَ عشرَ الميلادى استطاع بعض الجراحين إجراء عمليات فى الأذن الخارجية والعظمة التى تقع خلفها والتى تسمى «النتوء الحلمى» وكان ذلك غاية الإعجاز والانتصار، إلا أنه مع ازدهار العلم بدأ بعض الأطباء فى إجراء عمليات فى الأذن الوسطى.

وبعد الخمسينيات من القرن العشرين تم اختراع الميكروسكوب الجراحى وكذلك أجهزة ثقب العظام الكهربائية وأيضًا الأدوات الجراحية البالغة الدقة مما شجع العلماء على فتح قناة الأذن الداخلية والعصب المتصل بها فى عمق الجمجمة بجوار أخطر جزء من المخ ويعتبر ذلك أكبر تطور علمى فى مجال جراحة الأذن، ولقد استفاد الإنسان كثيراً من دراسته للأذن ووظائفها وكلما ازداد التقدم والتطور العلمى بالدراسة والبحث فى العضو الهام ازدادت معطيات العلم لفائدة الإنسان واستخداماته الحياتية.

ولقد استنبطت نظريات أجهزة الاستقبال الحديثة السلكية واللاسلكية بتقليد أجهزة أذن الإنسان.

وكل ما قامت عليه المخترعات الحديثة ما هو إلا محاكاة لما خلق الله وصَنَع المبدع المصور.

ثم إن الله يؤتى علمه لمن يشاء، وكانت البداية فى هذا المجال مع العالم الانجليزى (اسكندر جراهام بل) فلقد حاول هذا العالم أن يساعد زوجته على السمع فاخترع لها قرصاً دائريا يهتز عند وصول الأصوات إليه ثم طوَّر اختراعه إلى سماعة للأذن لتحسين السمع وبهذه المحاولات وصل دون أن يقصد إلى اختراع التليفون سنة ١٨٦٤ وبفضله أُدْخِل للاستعمال البشرى احسنُ واروع اختراعٍ استفاد منه الإنسان.

لقد استمرت البحوث والدراسات مئات السنين فى محاولة للوصول إلى معرفة أجزاءِ وطريقةِ عملِ كل جزء ، وبرغم ذلك فإنَّه كُلَّمَا توصل العلم إلى مفاهيم او معتقدات تأتى الاكتشافات الجديدة لتوضيح خطأ هذه المفاهيم وتلك المعتقدات بما يفرض على العلم ضرورة إعادة البحث والدراسة.

وظلت الحال على هذا حتى هيأت الأقدار للمهندس الألمانى «فون بيكيسى» فرصة للوصول إلى اكتشاف جديد.

فلقد كان هذا المهندس يعمل فى مصلحة التليفونات فى ألمانيا سنة ١٩٣٤ وكان مسئولا عن أعمال التركيب والصيانة والتشغيل.

وذات يوم جاءه أحد المشتركين يشكو له من رداءة صوت التليفون وعدم وضوح الكلام، وكان هذا الصوت بصورته هو منتهى ما استطاع العلم الوصولَ إليه وسأل هذا المشترك ذلك المهندس سؤالا ...

لماذا لا يكون الصوت المنقول عبر التليفون واضحا مسموعا مفهوما كالكلام الذى تسمعه الأذن ...؟

ولقد أثار هذ السؤال حماس المهندس فاعتزم على الدراسة والبحث وصمم على دراسة وظائف الأذن لتكون دليلا له لتحسين أداء الخدمة التليفونية.

وبرغم أنه لم يكن له دراسة بالطب أو التشريح إلا أنه قام بتشريح أذن الحيوانات الصغيرة كالفئران والخفافيش والطيور والحمير والبقر والخيل والجمل والفيل.

ثم انتقل إلى مرحلة تشريح أذن الإنسان ومعرفة أسرارها وخباياها وأجرى التجارب والتحاليل على كل جزء بها، وحاول الربط بين ما وجده فى أذن الحيوانات وأذن الإنسان.

وبعد ثلاثين سنة من البحث المضنى الشاق وصل إلى غرضه وأعلن اكتشافه حيث كتب لأول مرة وصفا دقيقا وتفصيليا لتركيب ووظيفة كل جزء من الأذن ونظرية عمل الأجزاء الحساسة بها وكيفية تحليل الأصوات وتوصيلها إلى المخ، وكانت هذه الاكتشافات الهامة ذات فائدة أخرى أكبر.

فلقد ساعدت العلماء على اختراع أجهزة لفحص واختبار وظائف الأذن وتحديد مكان مرضها ودرجته، واختراع جهاز رسم الأذن وأجهزة تنشيط السمع بالأذن الداخلية ، وكلها تقوم على الاكتشافات التى توصل إليها «فون بيكيسى».

وأيضًا تم اكتشاف حقائق علمية أثرت على نظريات العلاج وأنواع العمليات وأيضا فى تطور صناعة سماعات الأذن.

وخلاصة القول أن ما أكتشف من أسرار الأذن ومعجزاتها يمثل القليل من مجاهل هذا العضو الخطير ويعطى فكرة عظيمة عن إبداع الخالق وقدرته.

وللأذن دور هام فى حياة الإنسان، ويبدو ذلك فيما توصل إليه العلم حول أثر درجة الاستماع قوة وضعفا، ولنا وقفة تأمل حول هذه الآية:

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾

«سورة يس الآية٤٩»

الصيحة صوت ضخم قوى يحدث أثرا مدمرا على الكائنات الحية فتموت.

والتحليل العلمى للصيحة يبدأ بالتدريج ابتداء من الضوضاء التى أصبحت مرضا تعانى منه البشرية وبخاصة المناطق ذات الكثافة البشرية كالعواصم والمدن الكبرى وهذه الضوضاء سببت أمراضا عصرية مثل القلق، وثورة الأعصاب.

وهنا نتساءل ما هو أثر الضجة الدائمة على حياة الإنسان ...؟ خاصة وهذا العصر يتسم بعلو الضجيج وكأن هذا الضجيج من لوازم العصر ومن لغته الضرورية والمناسبة.

وحيث يعلو الضجيج ولا أحد يعرف لماذا ...؟

والطب النفسى يقسم الناس لَدَى تَحَمُّلهم للضوضاء إلى مجموعتين:

**الأولى :** أصحابها يغلب عليهم القلق والتوتر بطبيعتهم ويكمن هذا القلق وذاك التوتر فى شخصيتهم حتى تظهر آفة الضوضاء.

**الثانية :** وهذه المجموعة من الناس يعتبرها أطباء علم النفس سليمة نفسيا وتأثير الضوضاء بالنسبة لهم بمثابة عامل رئيسى فى تشتيت كل وسائل التركيز إلى درجة تصل بهم إلى مرحلة من الإجهاد يفقد معها الشخص كل القدرة على التفكير ..

والضوضاء فى كلتا الحالتين مؤثر هام على الإمكانيات النفسية لكلا المجموعتين.

ولقد أجريت دراسات على مجموعة من الأشخاص وحيث تعرض هؤلاء للأصوات المرتفعة مع مراعاة ألا تكون هذه الأصوات بالغة الشدة لدرجة الإضرار الجسدى فهناك موجات صوتية تستطيع إحداث تلك الأضرار.

وعند مقارنة هؤلاء بغيرهم ممن لم يتعرضوا لمثل هذه التجربة وُجد أن الواقعين تحت تأثير الضوضاء قد فقدوا اتزانهم الانفعالى وأصبحوا أكثر عصبية واشد ميلا للعدوانية فى معاملاتهم.

ومن اثر هذه الضوضاء ايضا وجد أن من يتعرضون لها لا ينتهى أثرها بانتهاء الضوضاء، ولكن هذا الأثر يُبقى حال من تعرض لها على ما هو عليه لفترة قد تطول بعد توقفها، حيث يظل ينفعل ويثور ويتهجم لأتفه الأسباب حتى يبدو الشخص وكأن به مسا من الجنون أو به سفها.

وإذا كان الحال كذلك فلابد من أن تسوء العلاقات بين الناس ويكثر الشجار ويسود العدوان فالضوضاء التى تحيط بالمجتمع من كل مكان تخلق جواً من التوتر والعدوانية والقلق الاجتماعى.

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾

«سورة يس الآية ٢٩»

وكيف تكون الصيحة الواحدة كافية ...؟

إنه العلم الإلهى والقدرة الإلهية التى لا يعجزها شىء فى الأرض أو فى السماء.

هنا نتساءل هل يَهلِك الإنسانُ من الصوت ...؟

وماذا يقول العلم الذى وصلنا إليه .. ؟

الصوت عبارة عن طاقة تصدر من اهتزاز أى جسم يتحرك بسرعة وذلك على شكل موجات فى الهواء أو فى أى وسط آخر.

والأصوات تصدر من الطبيعة التى حولنا ومن جميع الكائنات الحية التى تعيش معنا وكذلك من الإنسان ومخترعاته التى ملأت الدنيا.

ولكى يكون للصوت وجود، لابد له من مصدر يحدثه ووسيط ينقله وأذن تسمعه.

فالطبيعة بمحتوياتها والبحار بأمواجها والهواء بتحركاته تخلق جميعا الحركة والنشاط فى هذا الكون ويصدر عنها أصوات مختلفة .

والكائنات الحية تتحرك وتتكاثر، والإنسان يسعى ويتكلم وذلك باستعمال الأصوات التى تنتقل عبر الهواء على شكل موجات صوتية كبيرة او صغيرة كثيرة أو قليلة.

ولكنها تسير بسرعة واحدة وهى ٧٠٠ ميل فى الساعة فى جميع الاتجاهات.

وللصوت صفات ومميزات وفوائد وأضرار.

فالقوة وهى ما نعبر عنه بكثافة الصوت أو حجمه نستدل عليها من شدة هذا الصوت وعلوه وسهولة سمعه.

وهناك طرق عديدة لقياس القوة إما بالمللى وات أو الداين على السنتيمتر المربع أو بوحدة الديسيبل.

فمثلا صوت الإنسان عند الهمس لا تزيد قوته على واحد على الألف من الملى وات على السنتيمتر المربع أو ما يساوى ديسيبل واحد.

أما الصوت المرتفع الذى يصل إلى حد الصراخ فيساوى ٩٠ ديسيبل وذبذبة الصوت هى عدد موجاته أو تردداته فى الثانية الواحد .

والصوت الخشن هو الصوت قليل التردد وهو الصوت الخشن الأجش مثل التشخير.

أما إذا ارتفعت ذبذبته فتزيد حدته ويصبح رفيعا مثل الرنين .

وللصوت سرعة كبيرة يسير بها فى جميع الاتجاهات فى خطوط مستقيمة مع ثبات ضغط الوسط الذى يسير فيه.

وللصوت فوائده.

فأصوات الطبيعة تسهل للإنسان التعرف عليها والتآنس معها والتمتع بجمالها واكتشاف تقلباتها والحذرَ من مخاطرها.

وأصوات الكائنات الحية والطيور والحيوانات تساعدها فى التعرف على بعضها والالتقاء والتكاثر وحفظ جميع الأنواع والبحث عن الغذاء والتجمع والهجرة والدفاع عن النفس والهجوم .

أما عند الإنسان فالصوت ضرورى للتفاهم ونقل الأفكار والمعانى وتسهيل اللقاءات والمعاملات وكل ما يؤدى إلى تطور الإنسان وتقدمه.

والإنسان يستريح للأصوات المنخفضة التى لا تزيد قوتها على ٣٠ ديسيبل. وفى حدود هذه القوة يتكلم ويتفاهم ويسمع الأصوات خاصة الطبيعية الهادئة فيسعد ويستريح وتهدأ أعصابه.

أما إذا ارتفعت قوة الصوت مثلا إلى ٥٠ ديسيبل فيكون مثل الصياح والضوضاء والشجار فهذه القوة تسبب له ضيقاً وتوتراً فى الأعصاب مع الشعور بالإجهاد والتعب، وإذا زادت قوة الصوت عن ذلك زاد تأثيرها السيئ فيصاب الإنسان بالاكتئاب ويفقد الشهية ويقل نومه ويكثر تعبه وتقل كفاءته الإنتاجية.

وفى حالة وصول قوة الصوت إلى ٩٠ ديسيبل مثل أصوات الماكينات الضخمة وأبواق السيارات ومكبرات الصوت فهنا يكمن الخطر حيث تتأثر الصحة فعلا ويزيد النبض ويرتفع الضغط ويظهر تصلب الشرايين وتكثر متاعب الجهاز الدورى والجهاز الهضمى وتزداد حالات الذبحة الصدرية وقرحة المعدة ومتاعب الأمعاء ونوبات الصداع.

وعند وصول قوة الصوت إلى ١٢٠ ديسيبل مثل أصوات الطائرات والمدافع والانفجارات يصبح ضعف السمع أكيدا والإضرار بالصحة واقعا وقد ينتهى الأمر بفقد السمع بالكامل مع متاعب جسمانية ونفسية متنوعة.

أما الأصوات المدوية ذات القوة الهائلة مثل القنابل الضخمة والانفجارات الهائلة مثل انفجار القنبلة الذرية فإن قوة الصوت الصادر منها تزيد كثيراً على ١٥٠ ديسيبل وهذا الصوت فقط كافٍ لإهلاك الإنسان والحيوان فى الحال حيث يؤدى إلى انفجار الرئتين وتوقف القلب والوفاة السريعة.

ومن هنا نستطيع فهم الآية الكريمة التى يقول فيها العزيز الحكيم :

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾

«سورة يس الآية ٤٩»

ومثلها :

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾

«سورة يس الاية ٢٩»

# بيت العنكبوت

والتقدم الفكرى وضع أيدينا على كنوز البيان فى داخل الكلمات القرآنية العامرة بالصدق المجازى الحرفي والجزئى والكلى ، فلننظر إلى هذه الاية.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

«سورة العنكبوت الآية ٤١»

فهل بيت العنكبوت هو أوهن البيوت؟

ولماذا يختار القرآن صفة التأنيث حينما يتحدث عن العنكبوت فيقول «اتخذت بيتاً» ...؟

فماذا أتى به العلم التفصيلى ...؟

لقد كشف العلم أن أنثى العنكبوت هى التى تنسُج البيت وليس الذكر، وهذه حقيقة بيولوجية أكدتها العلوم المعاصرة .

والحقيقة العلمية الثانية هى التى أكدت على أن أوهن البيوت هو بيت العنكبوت .. لماذا ...؟

لم يقل القرآن : خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت لأن هذا له دلالته وأسبابه.

فالعلم كشف لنا بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من خيط الحرير وأكثرُ منه مرونة ، فيكون نسيج

العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض وأكثر ، ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة.

فلماذا تكون هذه القلعة الحصينة بيتاً واهناً ...؟

الحقيقة آن هناك كشفاً للعلم فى ذلك ، فبيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يمثله كل بيت من صفة الأمان والسلامة والسكينة والطمأنينة.

فالعنكبوت الأنثى تقتل الذكر بعد أن يلقحَها وتأكلُه، والأبناء يأكلون بعضهم البعض بعد خروجهم من البيض .

ولهذا يهرب الذكر ويفر بجلده بعد أن يلقح انثاه ولا يحاول أن يضع قدمه فى بيتها.

إذن فهو بيت واهن ضعيف ليس فيه أمان وليس بيتاً إنما هو وكرٌ وقبرٌ.

فالأنثى تغزل بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلا لكل حشرة صغيرة تفكر فى أن تقترب منه وكل من يدخل البيت من زوار أو ضيوف يُقتل ويُلتهم.

إنه إذن ليس بيتاً بل مذبحة يخيِّم عليها الخوف والتربص وإنه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ.

# العلم يجيب عما يحدث
# ولا يجيب عن لماذا يحـدث ..؟

أكدت العلوم لنا أن السماء ترجع ما يصعد إليها، فبخار الماء ترجعه لنا مطراً والأمواج اللاسلكية ترتدُ هى الأخرى من السماء إذا أرسلت إليها بسبب انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية.

فالسماء أشبه بمرآة عاكسة ترجع ما يبث إليها.

ثم إن الأرض هى الأخرى (ذات الصدع) أى التى تتصدع ليخرج منها النبات ونافورات الغاز الطبيعى والبترول وينابيع المياه الكبريتية ونفث البراكن، وفى هذا يقول العزيز الحكيم :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾

«سورة الطارق الآيتان: ١١-١٢»

ولكن يجب علينا أن نفهم أن العلم يتكلم عما يحدث .

ولكن ليس له أن يجيب عن لماذا يحدث ...؟

هذه حدود العلم ...؟

ومثالنا فى هذا هو :

لو أنك سألت طبيباً : ما السبب وراء احمرار الدم ...؟

لأجاب : لأن فى الدم خلايا حمراء، حجم كل خلية منها ١/٧٠٠ من البوصة.

ـ حسناً، ولكن لماذا تكون هذه الخلايا حمراء ...؟

فى هذه الخلايا مادة تسمى «الهيموجلوبين» وهى مادة تحدث لها الحمرة عندما تختلط بالأوكسجين فى القلب.

ـ ولكن من أين تأتى هذه الخلايا التى تحمل الهيموجلوبين؟

ـ إنها تصنع فى الكبد.

ولكن كيف ترتبط هذه الأشياء الكثيرة فى الدم والخلايا والكبد وغيرها بعضها ببعض ارتباطاً كلياً وتسير نحو آداء واجبها المطلوب بهذه الدقة الفائقة...؟

ـ هذا ما نسمية قانون الطبيعة.

ـ ولكن ما المراد بقانون الطبيعة هذا يا سيدى الطبيب؟

ـ المراد به هو الحركات الداخلية العمياء للقوى الطبيعية والكمياوية.

ـ ولكن لماذا تهدف هذه القوى دائما إلى نتيجة محتومة معلومة ..؟

وكيف تنظم نشاطها ..؟

حتى تطيَر الطيورُ فى الهواء.

وتعيشَ الأسماك فى الماء... ؟

ـ هنا يجيب الطبيب أو العالم أو الباحث لا تسألنى عن هذا فإن العلم لا يتكلم إلا عمّا يحدث وليس له أن يجيب لماذا يحدث ...؟

ومن هنا يتضح أن العلم صالح للحديث وشرح العلل والأسباب وراء هذا الكون.

إلا أن الإجابة عن لماذا ..؟

هى خاصة بالقادر المعجز.

الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه.

إن هناك جهنمَ طبيعية تلتهب تحت بحارنا الزرقاء، ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، فنحن واقفون على ظهر «لغم» كبير من الممكن أن ينفجر فى أى وقت ، ليدمر النظام الأرضى بأكمله.

فباطن الأرض يحتوى على مادة شديدة الحرارة نشاهدها عندما ينفجر بركان ، وهذه المادة تؤثر على الأرض بشتى الطرق، فمنها ما تصدر عنه أصوات رهيبة مروِّعة، وما نحس به من الهزات الأرضية التى نسميها «الزلازل». وهذه الزلازل تجتاح جميع نواحى الأرض ولا تخلو الصحافة فى أى صباح من أخبار عن الزلازل التى يكثر وقوعها فى الأماكن التى توجد بها براكين.

وأقدم زلزال رهيب سجله التاريخ هو زلزال إقليم «شنسى» الصينى الذى وقع عام ١٥٥٦ م ولقى فيه أكثر من ثمانية ملايين نسمة مصرعهم فى هذه الكارثة.

وقد وقع زلزال فى لشبونه عاصمة البرتغال عام ١٧٥٥م فدمر المدينة كلها وأباد ثلاثين ألفاً فى ست دقائق.

وقد قيل: إن هذا الزلزال هز ربع أوروبا، وأيضاً يسجل التاريخ زلزال ولاية «آسام» الهندية عام ١٨٩٧م وهو يعد من الزلازل الخمسة الكبرى فى التاريخ ، فقد أحدث دماراً وخراباً عظيمين فى منطقة كبيرة فى شمال الهند.

وكما غير اتجاه النهر العملاق «براهما بوترا» وحدثت طفرة هائلة فى هضبة إيفرست بجبال الهملايا فارتفعت مائة قدم.

إن هذه الزلازل «قيامة» على نطاق غير واسع .. فعندما تنْفجر الأرض بصوتها الرهيب ودويِّها المخيف وعندما تتساقط الجدران وأسقف المبانى الضخمة حتى كأنها أوراق «الكوتشينة».

وعندمــا يصبح أعلى الأرض أسـفلهــا، وأسـفلهــا أعــلاها وعندمــا تحل الخرائب الموحشة محل المدن العامرة فى ثوان معدودة.

وعندما تسير طوابير النعوش، وتتراكم على ساحـات المدن وطرقها تراكم الأسماك على ساحل البحر فتلكم هى قيامة الزلزال .

وفى هذه اللحظة يشعر الإنسان بعجزه أمام قوى الطبيعة فإن الزلازل لا تقرع أبواب المدن إلا بغتة ودون سابق إنذار.

والإنسان لا يستطيع أن يتنبأ بمكان الزلازل ولا بموعد وقوعها .

وهذه الرمزية التى تعطيها لنا قيامة الزلازل هى التى تصور لنا وتنبئ عن قيامة كبرى ؛ سوف تفاجئنا غداة يوم وعلى غِرةٍ منا .

إن هذه الزلازلَ دليل ناطق على أن خالق الأرض قادر على تدميرها، كما يشاء.

والفضاء الخارجى لا حدود له، تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها هى «السيارات والنجوم» ومثالها كملايين (النحل) وهى اللعب الخشبية الحلزونية التى يلعب بها الأطفال والتى تدور على سطح معين بأقصى سرعة يمكن تخيلها، وهذا الدوران يمكن أن يتحوَّل فى أى يوم إلى صدام عظيم لا يمكن تصوره.

وفى هذه اللحظة الرهيبة يكون ما فى الكون أشبه بآلاف من القاذفات الشبح المليئة بالقنابل النووية وهى تواصل رحلتها فى الجو، ثم تصطدم كلها مرة واحدة.

إن اصطدام الأجرام السماوية ليس بغريب مطلقاً بل الغريب حقاً هو عدم هذا الصدام، فدراسة علم الفلك تؤكد إمكانية الاصطدام إلا أن الله العلى هو أرحم الراحمين.

# الفصل الرابع

## دعوة إلى التنقيب في مناجم القرآن

ما نرجوه اليوم لمفكرينا وما نرجوه غدا من أجيالنا الا يقفوا موقف المراقب والمتفرج من الحركة العلمية، أو موقفَ المتسوِّل من معطياتها ينتظرون ما يتصدق به عليهم علماء أزمانهم ومفكرو عصورهم من غير المسلمين.

ولكن يجب أن يكون دورهم منطلقا من أوامر القرآن الكريم الذى يدفع ويشجع على البحث والتجربة والتمحيص.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾

«سورة الذاريات الآية ٢٠-٢١»

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

«سورة فاطر من الآية ٢٨»

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

«سورة آل عمران من الآية ١٩١»

ويجب على علمائنا السبق بالعلم والمعرفة لأن القرآن الكريم يعطى التميز للعقل المسلم فى كل المجالات، والقرآن ليس كتابَ علم أو بحثٍ متخصص إلا أنه مليءٌ بالرموز والمشاعل التى تنير العقول وتصقل الأذهان صقلا يؤهل النسيج الفكرى والعقلى إلى استنباط الملائم لكل عصر والأمثلِ لمواجهة ظروف الحياة.

فمنهج رب العزة فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «منهج الإعجاز» لكل زمان ولكل مكان ولكل عصر حتى يرث الله الأرض وما عليها، ولهذا وجب على المسلمين التنقيب في مناجم الإعجاز لمعرفة أسرار الكون ، وللتحقق من عظمة آيات الله فى آفاقها المتعددة ، ويقول تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

«سورة فصلت الآية ٥٣»

ويجب على كل إنسان أو عالم أو كاتب أو مفسر أن يعيَ تماما أن الإسلام دين متكامل وأنه لا يمكن تجاهل العلم فى الأمور الدينية وأنه لا يمكن للعقل الرشيد أن يقبل اختياراً يقوم على دينٍ بدون علم أو علم بدون دين.

والباحث فى مناجم القرآن يَجد أن الوعاء القرآنى مهما نهل منه إبداع العقل البشرى، فانه وعاء لا ينضب زاده ولا يتوقف إعجازه.

ولكن من الواجب أيضا الاعترافُ بحدود العقل البشرى والإيمانُ بأن هناك غيبيات لا يجوز الخوض فيها بل يجب اعتبارها مُسَلَّمَاتٍ كقوله (تعالى)

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾

«سورة النازعات الآيات ٤٢-٤٤»

ومن الغيبيات أيضا ما جاء فى الذكر الحكيم فى سورة لقمان:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾

«من الآية ٣٤»

وقوله (جل وعلا)

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾

«سورة الأنعام من الآية ٥٩»

❖ فعلمُ الساعة . ❖ ونزولُ الغيث .

❖ وما فى الأرحام ومصيرها. ❖ والرزق . ❖ والوفاة ومحلها .

غيبيات لم ولن يتوصل إليها البشر وليس من الضرورى البحث عنها وفيها لأنها تخص العزة الإلهية وحدها . ومثالنا البسيط فى ذلك عن «مافى الأرحام».

فلقد كان العلماء فى القرون الماضية لا يعرفون شيئا عما فى الأرحام.

إلا أن العلم الحديث أصبح قادرا على معرفة ما فى الأرحام أهو ذكر أم أنثى.

إلا أنهم لم ولن يستطيعوا معرفة ما إذا كان هذا المخلوق سوف يكون سعيدا أم شقيا وما هو رزقه ..؟ وهل سيكون ذكيا أم غبيا عالما أم جاهلا طويلا أم قصيرا معمرًا أم سوف يموت مبكرا.

مَنْ زوجتهُ .. ؟ من هم أنجالُه ...؟ أين يموت وكيف يموت ...؟

ثم إن الله القادر يعلم جنس الجنين قبل اللقاح ولقد ورد فى القرآن الكريم آلاف من التصريحات والتلميحات منذ أربعةَ عشرَ قرنا وبقيت خافية لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن.

ولقد قدر الله لكل جيل ولكل عصر قدرا من الرؤى والاكتشافات ليؤكد أن معجزة محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الممثلةَ فى القرآن، هى المعجزة الباقية الخالدة وأن كتاب الله «القرآن» هو الكتابُ الحق الذى لا ريب فيه، وهو هدى للمتقين.

والإسلام يؤكد أن الدين صديق للعلم والعقل والعروة بينهما وثقى، وأن الدين يحرك الإنسان للبحث.

فلقد قال (تعالى) :

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾

«سورة العنكبوت، من الآية ٢٠»

إنه حثٌ صريح على البحث والتفكير فى كيفية الخلق فى حدود قدرات العقل، وفى إطار منطق الربوبية لله الواحد القهار دون تجاوزٍ أو تعالٍ فالله هو المتعال ، ودون تطويع الظواهر العلمية لآيات القرآن لأن القرآن ليس كتاب ظواهر زمنية فهو كتاب الرسالة السرمدية إنه كتاب يهدى للتى هى أقوم .

# المراجـــــع


١ـ القرآن الكريم..

٢ـ حياة محمد ... محمد حسين هيكل .

٣ـ صحيح مسلم .... لابن كثير.

٤ـ سيرة أعلام النبلاء .. .. للذهبى

٥ـ التاريخ الإسلامى .. .. أحمد شلبى

٦ـ دائرة معارف القرن العشرين .. .. محمد فريد وجدى.

٧ـ الدستـور القرآنى والسنـة النبويـة فى شئـون الحيـاة .. محمد عزة دروزه

٨ـ جميع الأعداد الصادرة من مجلة منبر الإسلام .. إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٩ـ القرآن محاولة لفهم عصرى .. .. مصطفى محمود.

١٠ـ الإسلام يتحدى .. .. وحيد الدين خان.

## من اصدارات المركز الإعلامى للدراسات والبحوث القومية والاستراتيجية

١ ـ الاستراتيجية الدولية فى منطقة الخليج العربى:

منشورات مركز دراسات الخليج العربى (٦٢) جامعة البصرة ـ العراق.

٢ ـ إعجاز القرآن وبناء الإنسان .

٣ ـ بنو إسرائيل.

٤ ـ البيت النبوى.

٥ ـ الإعجاز الوجدانى فى القرآن .

٦ ـ الإعجاز العلمى فى القرآن .

٧ ـ تاريخ محو الأمية فى مصر .

٨ ـ متى تنتهى إسرائيل ... ؟

٩ ـ نهاية إسرائيل المعاصرة ومعركة الخلاص .

١٠ ـ غزو العراق ودمار إسرائيل الكبرى .

١١ ـ بناء الإنسان فى رحاب القرآن .

١٢ ـ بنو إسرائيل وأكذوبة العداء للسامية .

١٣ ـ أمهات المؤمنين وتكريم نساء العالمين .

١٤ ـ أعجاز القرآن وزاد الوجدان .

١٥ ـ القرآن ونهاية إسرائيل .

# الفهرس

رقم الصفحة

**الفصل الثالث :**



**الفصل الرابع :**

**هذا الكتاب**

المؤلف هو الدكتور عايد طه ناصف ، وهو كاتب متخصص فى الدراسات والبحوث الإسلامية ويرى دائماً وأبداً بل ويعتقد أن القرآن الكريم معجزة من جواهره تسبك كل الجواهر ومن مناجمه يستخرج كل ماهو مقدس ومغدق علي العاملين وأن كل آية معجزة، وكل كلماته، مثمرة، وكل أحرفه معطاءة ومقدسة. ولهذا لا يخرج أبداً عن معطيات القرآن فى كتابه مؤلفاته، ونجد ذلك في هذا الكتاب الذى يحث فيه علي البحث العلمى والتفكير والتدبر ويدعو ا لأجيال ألا يقفوا موقف المراقب والمتفرج من الحركة العلمية أو موقف المتسول لمعطياتها ينتظرون مايتصدق به عليهم علماء ازمانهم ومفكرو عصورهم من غير المسلمين ويحث علماءنا الى ا لسبق بالعلم والمعرفة والتنقيب فى مناجم القرآن الكريم التى تعطى التميز للعقل المسلم فى كل المجالات لأن القرآن الكريم ليس كتاب وعظ وإرشاد فقط، ولكنه زاخر بالرموز والمشاعل التى تنير العقول، وتصقل الأذهان صقلاً يؤهل العقل إلى استنباط العلم الملائم لكل عصر والأمثل لمواجهة ظروف الحياة.

والمؤلف يقدم هذا الكتاب الي شباب هذا الجيل علماء المستقبل الذين يقفون علي أعتاب مرحلة حاسمة تذوب فيها القيم وتنحسر الأخلاق مناشداً إياهم التمسك بالبحث العلمى والتحلى بالفضائل ال... وتجميل العقل بالتفكير والتدبر، وسوف يبهرون الدنيا من جدي... بأجدادهم، ويقودون ركب الحضارة. بإذن الله.



مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع
٧ ش علام حسين - ميدان الظاهر- القاهرة
تلفاكس ٠٢/٦٨٢٦٧٤٦٠ ت : ٠٢/٧٨٦٧١٩٨
محمول ٠١٠/٣٤٥٠٠٤١٠ - ٠١٠/٦٢٤٢٦٢٢